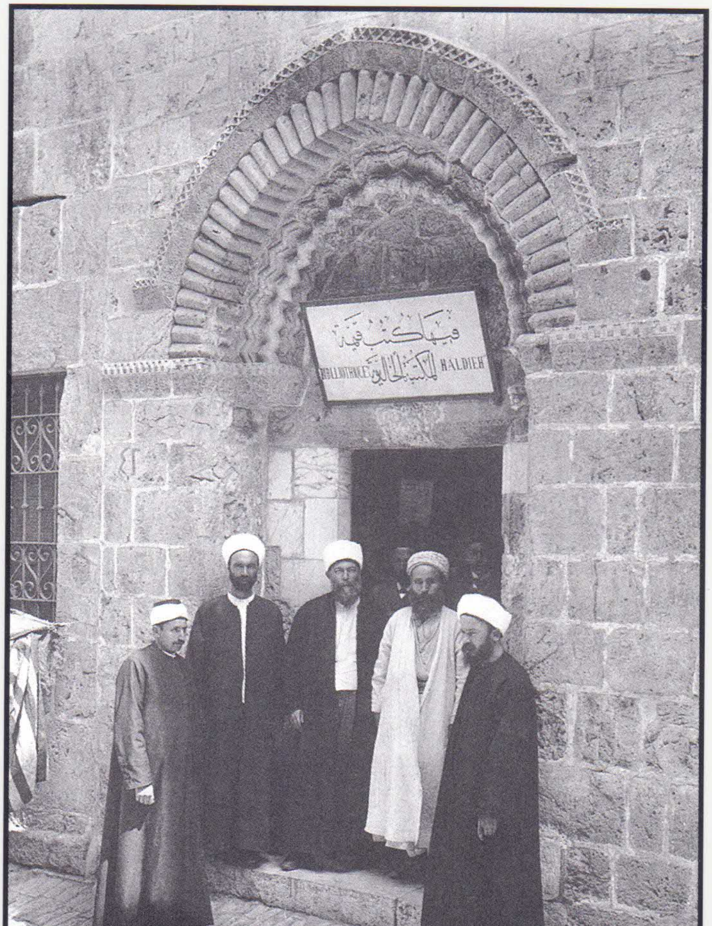
وليد الخالدي

المكتبة الخالدية في القدس

١٧٢٠م - ٢٠٠١م



المكتبة الخالدية - القدس

وليد الخالدي

مؤرخ ومرجع في القضية الفلسطينية. وُلد في القدس، وتخرج من جامعتي لندن وأكسفورد. عمل أستاذاً في جامعة أكسفورد، والجامعة الأميركية في بيروت، وجامعة هارفرد، وزميلاً باحثاً في مركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة هارفرد خلال الفترة ١٩٨٢ ـ ١٩٩٦. وهو عضو في الأكاديمية الأميركية للآداب والعلوم، وعضو مؤسس في مؤسسة الدراسات الفلسطينية وأمين سرها منذ تأسيسها في سنة ١٩٦٣. كتب الخالدي كثيراً بالعربية والإنكليزية في الشؤون العربية والدولية.

وآخر ما صدر له بالعربية:

- «قبل الشتات: التاريخ المصوّر للشعب الفلسطيني ١٨٧٦ ـ ١٩٤٨» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٧).
- «كي لا ننسى: قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة ١٩٤٨ وأسماء شهدائها» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى ١٩٩٧؛ الطبعة الثانية ١٩٩٨).
- «الصهيونية في مئة عام: من البكاء على الأطلال إلى الهيمنة على المشرق العربي (١٨٩٧ ـ ١٩٩٧)» (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٩٨).
- «خمسون عاماً على تقسيم فلسطين (١٩٤٧ ـ ١٩٩٧)» (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٩٨).
- «دير ياسين: الجمعة، ٩/٤/١٩٤٨» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٨).
- «خمسون عاماً على حرب ١٩٤٨: أولى الحروب الصهيونية ـ العربية» (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٩٨).
- «أرض السفارة الأميركية في القدس: الملكية العربية والمأزق الأميركي» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٠).
- «القدس: من العهدة العمرية إلى كامب ديڤيد الثانية» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠١).

$ 2.00

وليد الخالدي

المكتبة الخالدية في القدس

١٧٢٠م - ٢٠٠١م



المكتبة الخالدية - القدس

صورة الغلاف

افتتاح المكتبة كمكتبة عمومية سنة ١٩٠٠م.

ويظهر من اليمين كل من: الحاج راغب الخالدي، الشيخ طاهر الجزائري (الدمشقي)، الشيخ موسى شفيق الخالدي، الشيخ خليل الخالدي، الشيخ محمد الحبّال (البيروتي).



الحاج راغب الخالدي (ت ١٩٥٢م)
مؤسس المكتبة كمكتبة عمومية سنة ١٩٠٠م
خارجاً من الحرم الشريف عبر باب السلسلة سنة ١٩٤٠م

وكيف لا يهتم بافتتاح البيت المقدس الأقوى، والمسجد الأقصى المؤسس على التقوى، وهو مقام الأنبياء، وموقف الأولياء، ومعبد الأتقياء، ومزار أبدال الأرض وملائكة السماء. ومنه المحشر والمنشر، ويتوافد إليه من أولياء الله بعد المعشر المعشر. وفيه الصخرة التي صينت جدة أبهاجها من الإنهاج، ومنها منهاج المعراج، ولها القبة الشمّاء التي على رأسها كالتاج، وفيه ومض البارق ومضي البُراق. وأضاءت ليلة الإسراء بحلول السراج فيه الآفاق.

صلاح الدين بن نجم الدين أيّوب

المكتبة الخالدية في القدس

١٧٢٠م - ٢٠٠١م

Al-Maktabah al-khālidīyah fī al-Quds, 1720-2001
Walīd al-Khālidī

The Khalidi Library in Jerusalem, 1720-2001
Walid Khalidi

الطبعة الأولى ـ بيروت
آذار/مارس ٢٠٠٢

المكتبة الخالديّة في القدس

١٧٢٠م - ٢٠٠١م

وليد الخالدي

المكتبة الخالدية - القدس

المحتويات

أولاً: تمهيد

تقع المكتبة الخالدية في قلب القدس القديمة، على مسافة مئة متر من الحرم الشريف في الناحية الجنوبية من طريق باب السلسلة، وتطل على البراق وعلى حي المغاربة السابق عند ملتقى هذا الطريق بعقبة أبي مِديَن المؤدية إلى الحي.

ويصف أبو اليمن مجير الدين الحنبلي العليمي، صاحب «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» الذي انتهى من تأليفه سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٤م، باب السلسلة بأنه «عمدة أبواب الحرم»، كما يصف طريق باب السلسلة بأنه «الطريق الأعظم»، وذلك لكونه أكثر الطرق المؤدية إلى الحرم الشريف سلوكاً، ولأنه يصل باب السلسلة بالقلعة غرباً عند باب الخليل.

يشكل طريق باب السلسلة اليوم الحد الفاصل بين الحي اليهودي الموسع في أعقاب حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧ وبين الحي العربي الإسلامي إلى الشمال منه. أمّا حي المغاربة فقد حلت محله الباحة التي أنشأتها إسرائيل حينذاك على أنقاضه أمام البراق الذي يعتبره اليهود حائط مبكاهم بعد أن دكت مبانيه جميعاً بالجرافات. وكان الملك الأفضل ابن صلاح الدين الأيوبي وقف بعض الحي لجهة البر والإحسان سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م، ووقف معظمه لاحقاً أحد حفدة أبي مدين شعيب بن الحسين الغوث القطب على الحجاج المغاربة المجاورين سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م. وكانت زاوية أبي مدين التي أزيلت مع الحي على بعد أمتار من الخالدية، وكانت وفاة أبي مدين سنة ٥٩٤هـ/١١٩٧م في ظاهر تلمسان (المغرب).

يقع مبنى الخالدية الأساسي في موقع تربة بركة خان التي تضم باحتها أضرحة ثلاثة من كبار أمراء الخوارزميين الذين وفدوا إلى مصر والشام لمقاتلة الإفرنج، وهم حسام الدين بن بركة خان الأب وولداه حسام الدين كره بك وبدر الدين محمد بك. وغالب الظن أن بدر الدين هو الذي بنى

التربة ما بين سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م وسنة ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م. وجدير بالذكر أن السلطان الظاهر بيبرس تزوج ابنة حسام الدين بن بركة خان هذا، ورزق منها ابنه الأكبر بركة خان محمد، الذي تولى السلطنة من بعده باسم الملك السعيد ناصر الدين (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م - ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م). ولقد ألحق بالخالدية مبنى آخر على الجانب المقابل من طريق باب السلسلة، إلى الشرق منها في اتجاه الحرم الشريف.

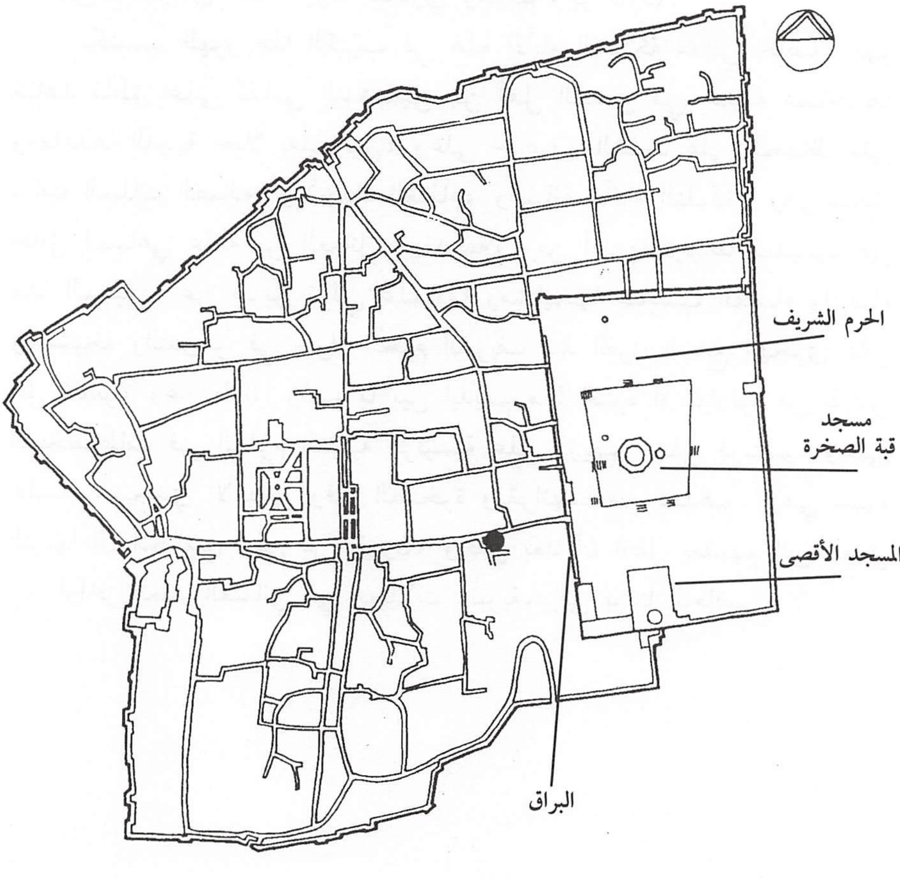
وتحف بطريق باب السلسلة مبان مملوكية عريقة غير الخالدية. فإلى الغرب منها المدرسة الطشتمورية (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م)، وإلى الشرق منها دار القرآن السلامية (٧٦١هـ/ ١٣٦٠م)، ثم دار الحديث والمدرسة التنكزية (٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م)، وقبالتها زاوية الكيلانية (٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م)، ثم إلى الشرق منها دار حديث (٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م)، فالمدرسة الطازية (٧٦٣هـ/ ١٣٦٢م)، فزاوية الجالقية (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م)، فتربة تركمان خاتون (٧٥١هـ/ ١٣٥١م)، فزاوية السعدية (٧١١هـ/ ١٣١١م). ولقد استولت إسرائيل على كل من التنكزية والسلامية والطشتمورية، ولم يبق على الجانب الجنوبي من طريق باب السلسلة في أيدينا سوى الخالدية.

وموضوع دراستنا هو نشوء الخالدية منذ تجميع أول نواة لمخطوطاتها سنة ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م، أي قبل افتتاحها سنة ١٩٠٠م بنحو مئتي عام، ثم ظروف افتتاحها كمكتبة عمومية في السنة المذكورة، وكيف تطورت ما بين افتتاحها وسنة النكبة ١٩٤٨، وما حلّ بها منذئذ، وبعد احتلال إسرائيل للقدس الشرقية سنة ١٩٦٧، وكيف تمكنت جمعية أصدقاء المكتبة الخالدية من الحفاظ عليها وتنميتها، عسى أن يعتبر هذا العمل نموذجاً مصغراً لما يمكن لنا، مسيحيين ومسلمين، أن نحققه دعماً لصمود القدس وتوطيداً لصبغتها العربية.

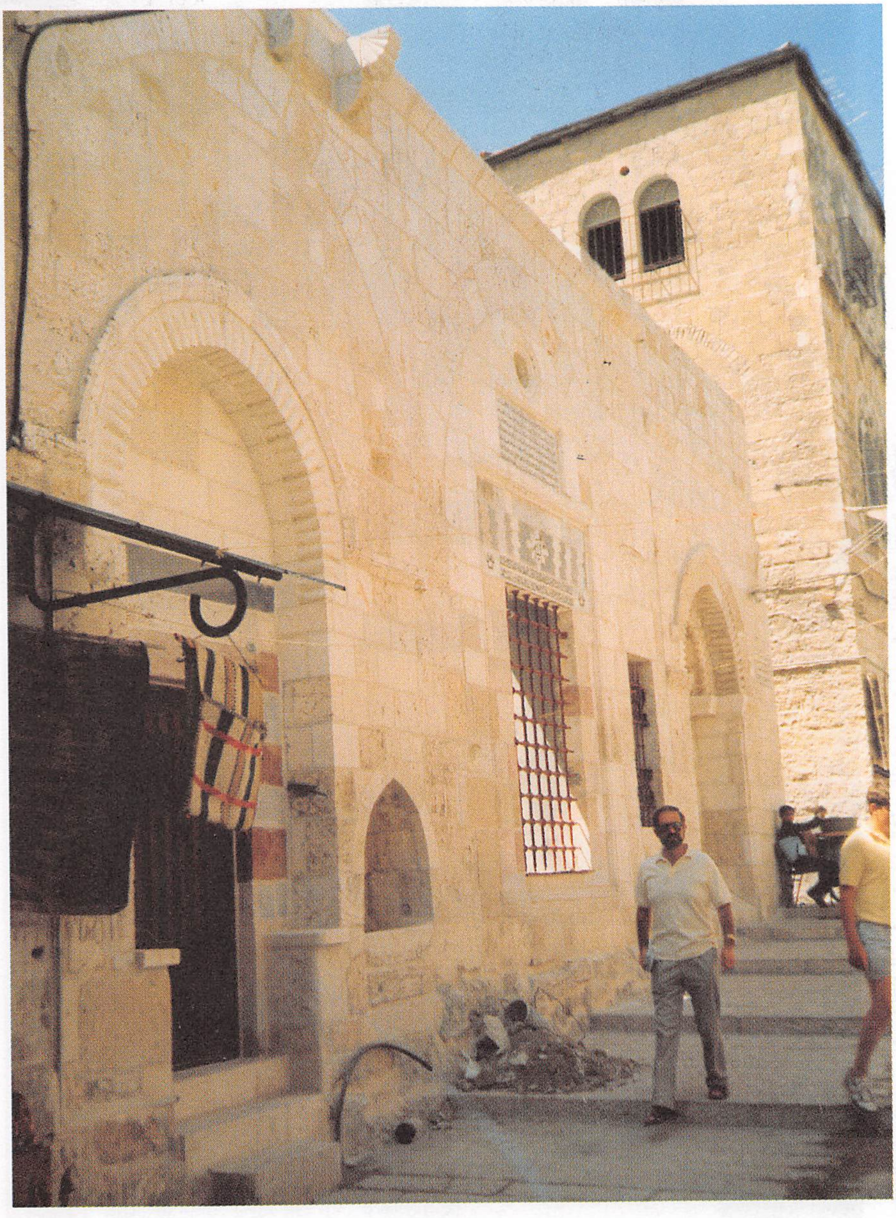
صادفت سنة ٢٠٠٠ للميلاد مرور مئة عام على افتتاح المكتبة الخالدية في القدس الشريف كمكتبة عمومية. غير أن الزمن الذي نعيشه زمن رديء، يحف فيه بأولى القبلتين وثالث الحرمين أشد الأخطار وأدهاها. وهو زمن حريّ بنا أن نشدد فيه كل التشديد على عروة روحية لا انفصام لها بين أمة الإسلام وبيت المقدس الذي خصّه الله، سبحانه وتعالى، بمعجزة الإسراء

والمعراج وبحضور السيد المسيح ومريم البتول، والذي قال نبي الله ﷺ عن مسجده: «لا تشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا» (رواه البخاري ومسلم وأبو داود).

يكتسب ظهور هذا الكتيّب في هذه الأيام الحالكة معاني خاصة. فهو شاهد ناطق على تفاني المؤمنين من أهل القدس في خدمة مساجدها ومعاهدها الدينية جيلاً بعد جيل، وعلى حرصهم الشديد على الحفاظ على تراث السلف الصالح والأجداد العظام، وصيانة مآثره التليدة. وهو سجل حافل لمساعي عائلة من العوائل المقدسية، ومن أقدمها ارتباطاً بمدينتهم في هذا السبيل، عن طريق تولي علمائها ومشايخها مناصب القضاء والإفتاء والمشيخة والتدريس في جوار الحرم الشريف منذ القرن السابع الهجري على أقل تقدير، وعن طريق وقف ما بين أيديهم مما اقتنوه أو توارثوه من نفائس المخطوطات في العلوم الدينية الرئيسية على ذويهم وعلى ذريتهم، وعلى علماء مسجدي الأقصى وقبة الصخرة وفقرائهما من بعدهم. وهي سيرة التزمها آل الخالدي على مر القرون، وحتى بعد أن انتقل بعضهم إلى العمل منذ أواخر العهد العثماني في مجالات دنيوية، إلى يومنا الحاضر.



تبين الدائرة السوداء موقع المكتبة داخل البلدة القديمة في القدس بالنسبة إلى الحرم الشريف والبراق.



واجهة المبنى الرئيسي للمكتبة (تربة بركة خان) في اتجاه الغرب.



واجهة المبنى الرئيسي في اتجاه الشرق، ويبدو العلم الصهيوني متدلياً من الطبقة الثانية المحتلة.



باحة المبنى الرئيسي، ويبدو فيها أضرحة الأمراء الخوارزميين.

ثانياً: آل الخالدي

ينتسب آل الخالدي إلى الصحابي خالد بن الوليد، رضي الله عنه. ولقد قيل في ذلك إن عقب خالد انقرضوا جميعاً، ولم يبق منهم أحد. ويستشهد القائلون بذلك بما ذكره من النسّابين الثقات المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري (توفي سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م)، وابن أخيه الزبير بن بكّار (توفي سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، وكذلك بقول ابن حزم (توفي سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) من أن وُلد خالد كثروا «حتى بلغوا نحو أربعين رجلاً، وكانوا كلهم بالشام، ثم انقرضوا كلهم في طاعون وقع، فلم يبق لأحد منهم عقب.»[١] وفي المقابل يقول البعض الآخر، ونحن منهم، إن الزبيريين لم يكونوا على شيء من الوئام مع خالد أو عقبه، وإن الزبير بن بكّار إنما نقل ما قاله عمه المصعب بحروفه وردده كما قرأه، وإن ابن الكلبي الذي توفي قبل المصعب بنحو ثلاثين عاماً (سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، وهو من ثقات النسابين أيضاً، لم يشر في «جمهرة النسب» إلى انقراض عقب خالد، وإن رواية ابن حزم فيها بعض النظر لافتقارها إلى الدقة فيما يختص بموقع الطاعون وتاريخه، وذكرها عدد الأربعين «الرمزي» تقليدياً، وصعوبة تقبل الانقراض الجماعي في آن واحد لعقب خالد حتى لو صح الرقم.[٢]

ويقول القائلون بانقراض عقب خالد من معاصرينا إن نسبة الخالدي في فلسطين محدثة لم تشع إلاّ في القرون الثلاثة الأخيرة. أمّا قبل ذلك حتى القرن الثامن الهجري فكانت النسبة التي أوردتها المصادر لهذه العائلة هي «الديري»، وإن أحداً من أعلام هذه الأسرة في القرن الماضي أو الحالي

---

(١) ناصر الدين الأسد، «محمد روحي الخالدي: رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين» (القاهرة: جامعة الدول العربية ـ معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٠)، ص ٢٩.

(٢) أنظر: ابن الكلبي، «جمهرة النسب»، تحرير ناجي حسن (بيروت، ١٩٨٦)، ص ٨٨، بشأن العداء بين الزبيريين وذرية خالد بن الوليد؛ أنظر أيضاً: ابن حبيب، «المنمّق»، تحرير خورشيد أحمد (حيدر آباد: الدكن، ١٩٦٤)، ص ٤٥٢.

(أي التاسع عشر أو العشرين) لم يضف إلى اسمه النسب القديم (أي الديري)، وإنما اقتصروا جميعاً على الخالدي.[3] والواقع أن نسبة الخالدي كانت معروفة في فلسطين منذ القرن السابع الهجري كما يستدل من ترجمة ابن خلّكان (توفي سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م) لأبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير بن داغر بن محمد بن خالد بن نصر بن داغر بن عبد الرحمن بن المهاجر بن خالد بن الوليد، المعروف بابن القيسراني الشاعر، وهي النسبة التي أملاها بعض حفدة المترجم له على ابن خلّكان؛ والقيسراني هذه نسبة إلى قيسارية، وهي بلدة تقع على ساحل البحر جنوبي مدينة حيفا الفلسطينية الحديثة.[4]

أمّا ما هو أقرب إلى ما نحن في صدده فهو أن المكتبة الخالدية تحتوي على مخطوط لمحمد عبد الرحمن بن عبد العزيز الخالدي المقدسي، تاريخ نسخه سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م، أي قبل وفاة ابن خلّكان بنحو سبعين عاماً، وبعيد الفتح الصلاحي لبيت المقدس في سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م. وبما أن المؤلف الخالدي يبدو خالي الذهن كلياً بالنسبة إلى الإفرنج واحتلالهم القدس فيما بين سقوطها سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م واسترجاعها على يد صلاح الدين، فمن غير المستبعد أن يكون تأليف مخطوطه، المشار إليه، سابقاً لسقوط القدس في أيدي الإفرنج.[5] أمّا أن آل الخالدي أسقطوا في القرنين التاسع عشر والعشرين نسبة الديري فلا أساس له، إذ إن مؤسس «الخالدية» لتكون مكتبة عمومية، الحاج راغب الخالدي، وهو عميد فخذ رئيسي من أفخاذ الأسرة المعاصرة ذاته، يستهل مقدمته لـ «برنامج المكتبة الخالدية العمومية»، الذي طبعه في القدس سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، بالإشارة إلى نفسه بقوله: «أمّا بعد فيقول الفقير إليه تعالى راغب الخالدي الديري المقدسي ابن الشيخ نعمان بن الشيخ راغب بن الفقيه محمد

(٣) الأسد، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦.

(٤) ابن خلّكان، «وفيات الأعيان»، تحرير إحسان عباس (بيروت، ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢)، الجزء ٤، ص ٤٥٨، ٤٦١.

(٥) أنظر المخطوط رقم ٩٦٣ فقه ٧٠٠،١ في هذا الفهرس.

إلخ.»[٦] كما أن ابنه (والدي) أحمد سامح، أحد أبرز أعلام العائلة في النصف الأول من القرن العشرين، كثيراً ما أضاف نسبة الدبري إلى نسبة الخالدي في مصنفاته، وأوصى بإضافتها على شاهد قبره في جوار الإمام الأوزاعي في الضاحية الجنوبية لمدينة بيروت في لبنان.

والمتواتر بين أفراد العائلة عن الأسلاف أن آل الخالدي إنما هجروا القدس قبيل سقوطها في أيدي الإفرنج، ولجأوا إلى دير عثمان بالقرب من قرية مردة القريبة من قرية جماعين من أعمال نابلس، ليعودوا إليها بعيد الفتح الصلاحي بنسبة الديري ثم الخالدي، والله أعلم.

هذا، ولقد أورد جدنا الشيخ محمد صنع الله الصغير (توفي سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، وكان فقيهاً ضم مجموع إجازاته إجازات كثيرة من علماء الأزهر الشريف وغيره، نسبة العائلة إلى خالد بن الوليد على النحو التالي: «هذه نسبة الفقير كما رأيته مسطراً في أحد مجاميع أجدادنا ناقلين ذلك من محلّه، فأقول مستعيناً بالله تعالى: الفقير الحاج محمد صنع الله بن محمد صنع الله (١) بن خليل (٢) بن شرف الدين (٣) بن صالح (٤) بن محمود (٥) بن أحمد (٦) بن نجم الدين أبي البركات محمد (٧) بن زين الدين عبد القادر (٨) بن الشيخ زين الدين عبد اللطيف (٩) بن شمس الدين (١٠) بن شيخ الإسلام وقاضي القضاة محمد (١١) بن عبد الله شمس الدين المدفون بماملاّ (١٢) بن جمال الدين عبد الوهاب (١٣) بن سعد (١٤) بن محمد (١٥) بن عبد الله (١٦) بن سعد (١٧) بن أبي بكر (١٨) بن صالح (١٩) بن علي (٢٠) بن جعفر (٢١) بن مصلح (٢٢) بن غانم (٢٣) بن أوفى (٢٤) بن سليمان (٢٥) بن جعفر (٢٦) بن محمد (٢٧) بن خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي ليث بني مخزوم، رضي الله تعالى عنه.»[٧]

ويعقّب العلامة الرحالة الثقة الشيخ خليل بن بدر بن مصطفى الخالدي

---

(٦) أعيدت طباعة «البرنامج» سنة ١٩٨٠ في عمّان من قبل عادل حسين فخري الخالدي، وراغب حسن شكري الخالدي.

(٧) وردت هذه السلسلة في مجموع عائلي مخطوط (ص ٥٥٩ ـ ٥٦٠) في حيازتنا، يقع في ٦١٧ صفحة ثلثها فارغ لتراجم لأفراد العائلة الخالدية، معظمه بخط الشيخ محمد أمين الأنصاري، وبعضه بخط يوسف ضياء الدين الخالدي، وروحي الخالدي، والشيخ خليل الخالدي.

(توفي سنة ١٣٦٠هـ/١٩٤١م)، رئيس محكمة الاستئناف الشرعية في القدس، على هذه السلسلة بقوله: «إن سلسلة نسب شرف الدين [٣ في السلسلة] إلى أبي عبد الله محمد شمس الدين [أي ١١ في السلسلة] مستندة إلى قيود ووثائق السجلات بالمحكمة الشرعية. ومن شمس الدين المشار إليه إلى مصلح [٢٢ في السلسلة] مستندة إلى ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في 'رفع الأصر عن قضاة مصر' والحافظ السخاوي في 'طبقات الحنفية' والعلامة البقاعي* والحافظ السيوطي في 'أعيان الأعيان'. أمّا ما ذكره السخاوي فقد نقلته من خطه، كتبه خليل الخالدي»[٨] - انتهى كلام الشيخ خليل. وقد قيل إن أقدم ما نعرفه عن أمر نسبة الديريين إلى الخالدي ما ذكره المرادي عن محمد صنع الله الكبير (١ في السلسلة أعلاه؛ توفي سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٦م) حين وصفه بـ «صنع الله المعروف بالديري الحنفي، والخالدي القدسي»،[٩] بينما يشير صك وقفية أبي الرضا طه بن صالح بن يحيى بن شيخ الإسلام نجم الدين أبي البركات محمد (٧ في السلسلة أعلاه)، وتاريخه سنة ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م، إلى أن النسبة تعود على الأقل إلى منتصف القرن الحادي عشر الهجري.[١٠] ولعل أوراق المكتبة الخالدية ووثائقها العائلية الكثيرة تزيدنا علماً في هذا المجال بعد تصنيفها ودراستها.

أول الديريين المقدسيين الذين وردتنا أخبارهم بتفصيل، هو محمد بن عبد الله شمس الدين (١١ في السلسلة أعلاه)،[١١] الذي توفي سنة

---

* هو برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، صاحب «عنوان الزمان في تراجم العيون والأقران»، توفي سنة ١٤٨٠م.

(٨) المجموع العائلي المذكور أعلاه (الحاشية ٧)، ص ٤٧٤. أنظر مثلاً: السخاوي، «الضوء اللامع» (القاهرة، ١٣٥٤هـ)، جزء ٨، ص ٨٨ - ٩٠؛ السيوطي، «نظم العقيان»، تحرير فيليب حتي (نيويورك، ١٩٢٧)، ص ٢٦، ١١٥، ١٢٦؛ ابن حجر العسقلاني، «إنباء الغمر»، تحرير حسن حبشي (القاهرة، ١٩٧٢)، جزء ٣، ص ٣٣٩.

(٩) الأسد، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦.

(١٠) المجموع العائلي المذكور أعلاه (الحاشية ٧)، ص ٤٣٤.

(١١) المعلومات التالية عن الديريين الخالديين مستقاة، في معظمها، من المجموع العائلي المذكور أعلاه (الحاشية ٧). أنظر مثلاً: مجير الدين الحنبلي، «الأنس الجليل» (النجف الأشرف، ١٩٦٨)، جزء ٢، ص ٢٢١ - ٢٢٢، ٢٢٤ - ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣١ - ٢٣٢، ٢٣٨؛ العسقلاني، مصدر سبق ذكره، جزء ٣، ص ٣٣٩.

٨٣٧هـ/١٤٣٣م عن عمر يقارب التسعين، ووصفه أبو اليمن مجير الدين الحنبلي العليمي صاحب «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» بـ «قاضي القضاة شيخ الإسلام». وُلّي شمس الدين مشيخة المدرسة المنجكية في القدس في سن مبكرة، سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م، ودرّس في المعظمية الحنفية في القدس أيضاً. وقال عنه مجير الدين: «أفتى ودرّس وحدّث... واشتهر اسمه وشاع ذكره ولم يبق في هذه البلاد في الحنفية نظيره.» وقد استدعاه السلطان مؤيد شيخ إلى القاهرة سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م (وقيل سنة ٨١٦هـ)، وولاه قضاء الديار المصرية، ثم قرّروه في مشيخة المدرسة المؤيدية في القاهرة. وقال عنه ابن حجر العسقلاني (توفي سنة ٨٥٣هـ/١٤٤٩م) في «إنباء الغمر بأبناء العمر»: «كانت له أحوال مع الأمراء وغيرهم يقوم عليهم ويأمرهم بكف الظلم»، وأنه باشر قضاء الحنفية في مصر «بشهامة وصرامة وقوة نفس ثم امتزج مع المصريين وياسر الناس.» واستأذن السلطان الملك أشرف كي يسافر إلى القدس بسبب اعتلال صحته فأذن له، وتوجه إلى القدس حيث أدركته المنية ودفن في ماملاّ إلى جانب أبي عبد الله القرشي.

أنجب شمس الدين خمسة أولاد اشتهر منهم أربعة هم: سَمِيّه (اسماً ولقباً وكنيةً؛ ١٠ في السلسلة أعلاه، توفي سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م)، وسعد الدين (توفي سنة ٨٦٧هـ/١٤٦٢م)، وبرهان الدين أبو إسحاق إبراهيم (توفي سنة ٨٧٦هـ/١٤٧١م)، وعبد الرحمن أمين الدين (توفي سنة ٨٩٦هـ/١٤٩٠م).

درّس شمس الدين الابن في المعظمية في القدس، كما فعل والده من قبله. وقال مجير الدين عنه: «اشتغل بالعلوم وبرع ودرّس وأفتى وانتفع الناس بفتياه... وكان كريم النفس قليل الحظ من الدنيا لين الجانب... فارساً شجاعاً.»

وُلّي سعد الدين مشيخة المنجكية وتدريس المعظمية في القدس، واستوطن مصر حيث أخذ مشيخة المؤيدية عن أبيه. كما وُلّي قضاء الديار المصرية كأبيه، واستمر فيه نحو خمسة وعشرين عاماً، و«عظم أمره وعلت مرتبته ونفذت كلمته» كما يقول مجير الدين. ويروي الشيخ التميمي* في

* هو تقي الدين بن عقيل التميمي الداري الغزّي، صاحب «الطبقات السنيه في تراجم الحنفيه»، توفي سنة ١٦٠١م.

«الطبقات السنيه» أنه أشرط على نفسه، في أثناء ولايته، «أن يبطل استبدال الأوقاف... وحصل للأوقاف من ذلك رفق كبير وعمرت أوقاف الحنفية في ولايته وكثر متحصّلها.» ويقول عنه العلامة البقاعي في «عنوان الزمان»: «ليس بالدنيا الآن أعلم بمذهب أبي حنيفه منه والعمدة الآن في الفتوى عليه.» ويذكر السخاوي عنه أنه «اشتهر ذكره وبعد صيته ونشره حتى إن شاه رخ ابن تيمور ملك الشرق سأل من رسول الظاهر جقمق عنه في جماعة فلمّا أخبره ببقائهم أظهر السرور وحمد الله على ذلك.» ويضيف السخاوي: «كثرت تلامذته وتبجح الفضلاء من كل مذهب وقطر بالانتماء إليه... وقرأت عليه أشياء وكتبت من فوائده ونظمه جملة.» توفي سعد الدين في القاهرة عن عمر يقارب المئة عام، ونزل السلطان الملك الظاهر خشقدم وصلّى عليه ودفن في تربة السلطان بإشارته.

ولد أبو إسحاق إبراهيم في بيت المقدس، وقدم القاهرة مع أبيه وهو صغير. وأخذ عن أبيه وأخيه سعد الدين، ودرّس في الفخرية في حياة والده قبل استكماله خمسة عشر عاماً، وناب عنه في مشيخة المؤيدية. ووُلّي كتابة السر ونظر الجيوش والاصطبل السلطاني والجوالي (أي جباية الجزية). ولم يدم طويلاً فيها، ووُلّي قضاء القضاة في الديار المصرية كأخيه ووالده من قبله، ثم استقر بمشيخة المؤيدية استقلالاً إلى أن توفي. عرفه السخاوي ولقيه مراراً ووصفه بـ «الفصاحة في العبارة وقوة الحافظة وعدم الخوض فيما الأولى تجنّبه.» وحين توفي صُلّي عليه بحضرة السلطان ودفن في القرافة بالقاهرة في جوار الشيخ أبي الخير الأقطع.

وولد عبد الرحمن أمين الدين في بيت المقدس، وانتقل في صغره مع أبيه إلى القاهرة حيث ما لبث أن درّس في الفخرية، وعاد إلى القدس ليدرّس في المعظمية ثم ليباشر نظر الحرمين (أي الحرم الشريف والحرم الإبراهيمي في الخليل). ورجع إلى القاهرة وولّي نظر الإصطبل والجوالي بدلاً من أخيه إبراهيم. وعاد إلى القدس حيث توفي في أثناء ولايته الثانية لنظر الحرمين. عرفه التميمي، الذي يذكر أن عبد الرحمن أنشده كثيراً من شعره، ووصفه بقوله: «كان من الفضلاء... فصيحاً بليغاً أديباً أريباً له ذوق تام في الأدب.» وقال عنه مجير الدين إن «أمره عظم في دولة الملك

الظاهر جقمق»، ودفن في ماملاّ في القدس إلى جانب والده.

حذا الحفدة وأبناء الحفدة حذو الآباء والأجداد (أنظر الشجرة ١، ص ٥٧ أدناه). فشمس الدين الحفيد سَمِيّ والده وجده (توفي سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م)، وأخوه جمال الدين يوسف (توفي سنة ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م)، كلاهما ولّي قضاء الحنفية في القدس والرملة والخليل. واستقر تاج الدين عبد الوهاب (توفي سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٦م) بن سعد الدين بن شمس الدين الكبير بقضاء الديار المصرية ومشيخة المؤيدية في القاهرة، وبقضاء القدس. وولّي ناصر الدين هبة الله محمد (توفي سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م) قضاء القدس بعد أبيه تاج الدين عبد الوهاب. واستقر بدر الدين (توفي سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م) بن أمين الدين بن شمس الدين الكبير بمشيخة المؤيدية وإفتاء الحنفية في مصر. وهكذا إلى آخر عهد المماليك وحلول آل عثمان محلّهم في الديار المصرية والشامية. ولعل آخر من وُلّي قضاء مصر من آل الديري هو نجم الدين أبو البركات محمد (٧ في السلسلة أعلاه).

وتعاقب العلماء من الديريين الخالديين على قضاء الحنفية في القدس في العقود الأولى من العهد العثماني (أنظر الشجرة ٢، ص ٥٨ أدناه)، فكان منهم شهاب الدين أحمد (٦ في السلسلة أعلاه)، وابنه محمود (٥ في السلسلة)، وحفيده صالح (٤ في السلسلة)، وشرف الدين أبو البركات محمد (٣ في السلسلة). كما ولّي شيوخ العائلة مشيخة المدرسة الفارسية في القدس بموجب براءة كانت تصدر عن السلطان في إستانبول، فكان معظم شيوخ هذه المدرسة منهم في القرون العاشر والحادي عشر والثاني عشر هجري، أي من السادس عشر حتى الثامن عشر ميلادي.(١٢)

وبدءاً بالقرن السابع عشر ميلادي تولى الكثير من فقهاء العائلة منصب رئاسة الكتابة في المحكمة الشرعية في القدس، فضلاً عن نيابة القضاء في حال غياب القاضي التركي المعين من إستانبول، أو قبل وصوله. وبسبب قصر مدد ولاية القضاة الأتراك وكثرة تبديلهم وطول غيابهم عادة، أصبح منصب رئاسة الكتابة، المقرون بنيابة القضاء، المنصب الديني الأهم في

(١٢) كامل جميل العسلي، «وثائق مقدسية تاريخية» (عمّان، ١٩٨٥)، المجلد الثاني، ص ٢٢٢.

المدينة، وخصوصاً أن الذين تولوه بقوا فيه فترات مديدة وتوارثوه أباً عن جد. ويقي هذا المنصب شبه محصور بأفراد العائلة الخالدية طوال القرون الثلاثة الأخيرة من العهد العثماني إلى أواخر القرن التاسع عشر ميلادي، حتى إن أحدهم، محمد علي (توفي سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م) بن علي بن محمد بن خليل بن صنع الله، ظل فيه نحو خمسين عاماً.[١٣]

لم تقتصر مناصب القضاء التي تولاها علماء العائلة على مدينة القدس؛ فعلي (والد محمد علي الذي ذكرناه لتونا، توفي سنة ١٢٣١هـ/ ١٨١٥م) تولّى نيابة القضاء في يافا وغزة، وأخوه موسى (توفي سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م) تولّى قضاء المدينة المنورة ثم قضاء عسكر الأناضول، ومصطفى بن موسى (توفي سنة ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م) تولّى القضاء في إستانبول، وياسين بن محمد علي بن علي (توفي سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م) تولى قضاء طرابلس الشام،[١٤] وخليل بن بدر بن مصطفى (توفي سنة ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م) تولى قضاء جبل سمعان (حلب)، وديار بكر في الأناضول، وبلدة قالقاندلن في ولاية كوسوفو في الروملي (البوسنة)[١٥] (أنظر الشجرتين ٣ و٤، ص ٥٩، ٦٠ أدناه).

حافظ علماء العائلة على العهد مع إستانبول، فوقفوا إلى جانب الدولة العثمانية خلال الحملة الفرنسية (نابليون) في مطلع القرن التاسع عشر ميلادي، وخلال الحملة المصرية (إبراهيم باشا) بعدها.[١٦] كما ظلوا على العهد خلال الحرب العالمية الأولى، وقاتل أبناؤهم في صفوف الجيش العثماني ضد الحملة البريطانية. بيد أنهم انضموا مبكراً إلى حركة الإصلاح العثمانية، فكان موسى المشار إليه من المقربين إلى السلطان محمود الثاني عند قيام الأخير بالقضاء على الأنكشارية، وكان ياسين السالف الذكر من أنصار المصلحَيْن محمد راشد باشا ومدحت باشا في السبعينات من القرن

(١٣) عادل منّاع، «أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني ١٨٠٠ ـ ١٩١٨» (القدس: جمعية الدراسات العربية، ١٩٨٦)، ص ١٤٥.

(١٤) المصدر نفسه، ص ١٣٢ ـ ١٥٦.

(١٥) كامل جميل العسلي، «العلامة خليل الخالدي ١٨٦٣ ـ ١٩٤١»، دورية «دراسات» (عمّان، الجامعة الأردنية)، المجلد الخامس عشر، العدد السابع (١٩٨٨)، ص ٢٩٩ وما يلي.

(١٦) منّاع، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٥، ١٥٠.

الماضي.[17] وكان الشيخ خليل، السالف الذكر أيضاً، من أعضاء حزب الاتحاد والترقي، وأفتى في إستانبول بعزل السلطان عبد الحميد، وخطب في الجماهير داعياً إلى تأييد الانقلاب عليه.[18] بينما كان الحاج راغب (توفي سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م) بن نعمان بن راغب أول من أعلن في القدس خبر قيام الانقلاب وإعلان الدستور سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م؛ وهو الخبر الذي حرص متصرف القدس التركي حينذاك على إخفائه.[19]

وفي صدد نظرة أهالي فلسطين إلى الحملة البونابرتية في أواخر القرن الثامن عشر، بين يدي نسخة عن مرسوم يحمل ختم موسى بن محمد بن خليل بن محمد صنع الله الكبير، وتاريخه ٣ صفر سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م موجّه «إلى كامل الأعيان والحكام بالأقصى [لعله يقصد المسجد الأقصى، أي القدس] ومدينة نابلس والخليل ويافه وغزة ذات الاحترام ومن كان في تلك الجهات أجمعين» يقول فيه: «لا يخفى عليكم ما وصل علمه إلينا وإليكم من قيام أهل الشرك اللئام الفرنساويه ومن معهم من الأنام، أهلك الله الجميع على الدوام، وقد استولوا على أحصن الحصون البهية ثغر اسكندريه المحميّة ومن كان عنده أدرى دراية يعلم أن هذا فتح شر بعيد النهاية وتمتد أيديهم لباقي الثغور ويظهر منهم شر الشرور ولا يغرّنكم [بالله] الغرور مع أن هذا الأمر قد اشتهر وأمره انتشر. ومن المعلوم أن القدس الشريف وما حوله من أماكن التشريف حرم مقصود ونظر العدو إليه ممدود بل هو الغاية القصوى لأهل الجحود.»[20]

حرص مشايخ آل الخالدي عبر الأجيال على إقامة علاقات وثيقة بأبناء طائفة الروم الأورثوذكس العرب في القدس، وعلى دعمهم في منافساتهم مع الطوائف الأخرى بشأن الأماكن المقدسة المسيحية، وبسطوا عليهم حمايتهم.

(١٧) المصدر نفسه، ص ١٥٠، ١٥٤ ـ ١٥٥. أنظر أيضاً:
Rashid Khalidi, *Palestinian Identity* (New York: Columbia University Press, 1997), p. 67.

(١٨) العسلي، «العلامة خليل الخالدي...»، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠١.

(١٩) منّاع، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٥. وقد سمّى منّاع الحاج راغب خطأً بالحاج غالب، وغالب هو أحد أبناء الحاج راغب.

(٢٠) عن هذا المنشور راجع: منّاع، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٩ ـ ١٥٠.

وكان لعميد العائلة آنذاك محمد علي، السالف الذكر، دور مهم في هذا الصدد. ذلك بأنه خلال الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا في العشرينات من القرن التاسع عشر للميلاد، جاء أمر من إستانبول بقتل بطريرك الروم الأورثوذكس وجميع المطارنة، فرفض محمد علي، الذي كان نائباً شرعياً حينذاك، تنفيذ الأمر وأخفى البطريرك وصحبه في مغارة قرب باب العمود، أحد أبواب المدينة القديمة، وتظاهر أمام الناس بتنفيذ الأمر، «وعندما هدأت الأمور وانتهت الحرب أعلن المترجم [محمد علي] حقيقة ما فعل فقدّر الجميع صنيعه.»[٢١] وفي دير الروم في القدس يجد الزائر إلى يومنا هذا صورة زيتية كبيرة له معلقة قبالة مكتب البطريرك اعترافاً بفضله.

وفي العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر انتشرت المدارس والمعاهد العلمية الأجنبية في إستانبول والقدس وغيرهما من مدن الدولة العثمانية، وأخذت الدولة ذاتها في تأسيس نظام تعليم عصري قائم على قواعد أوروبية حديثة، كما أجرت إصلاحات في الإدارة المحلية فأنشأت مجالس بلدية وأخرى استشارية على مستوى الولايات (مجالس عمومية) والمتصرفيات (مجالس إدارة). ورضخت للمطالبة بالمشاركة في الحكم، فتألف البرلمان العثماني (مجلس المبعوثان) الأول لدورتين ١٨٧٧م ـ ١٨٧٨م، وتبعه البرلمان الثاني عقب إعلان الدستور سنة ١٩٠٨م، الذي استمر لغاية نهاية الحرب الأولى. وفسحت إستانبول المجال لرعاياها من غير الأتراك للالتحاق بسلكيها المدني والدبلوماسي الجديدين، اللذين أعيد تنظيمهما نتيجة الإصلاحات الأخيرة.

وكان من الطبيعي أن يتأثر أفراد العائلة الخالدية بهذه التطورات، شأنهم في ذلك شأن سائر سكان القدس وغيرها، فتحول بعضهم من الخدمة في المناصب القضائية الدينية التقليدية إلى الخدمة في المجالات المدنية الجديدة، حتى طغى هذا الاتجاه بالتدريج عليهم خلال فترة الاحتلال البريطاني ١٩١٧ ـ ١٩٤٨ وبعدها، وكانوا من أوائل الذين التحقوا بالمعاهد العلمية العصرية الرسمية والأجنبية، والمناصب المدنية الحديثة الإنشاء أيام

(٢١) المصدر نفسه، ص ١٤٦.

العثمانيين (أنظر الشجرة ٤، ص ٦٠ أدناه).

وهكذا أُرسل يوسف ضياء الدين بن محمد علي (١٨٤٢م ـ ١٩٠٦م)، الذي بدأ حياته الدراسية في حلقات المسجد الأقصى، إلى الكلية البروتستانتية في مالطة، ثم إلى كلية روبرتس الأميركية في إستانبول. وعيّن فيما بعد نائب قنصل في مدينة بوتي الروسية (على البحر الأسود)، وحاكماً لمقاطعة موطكي الكردية في الأناضول الشرقي. كما عيّن أول رئيس لبلدية القدس (١٨٦٧م ـ ١٨٧٣م). وانتخب يوسف ضياء الدين نائباً عن متصرفية القدس في البرلمان العثماني الأول (مجلس المبعوثان)، وحاز لقب «باشا»، فكان النائب الوحيد عن فلسطين وواحداً من أربعة عشر عضواً عربياً بين أعضائه المئة والعشرين. وأمضى يوسف عدة أعوام مدرّساً في مدرسة اللغات الشرقية في مدينة فيينا، حيث حقق وأصدر ديوان لبيد العامري، بعد أن أصدر أول قاموس عربي ـ كردي سمّاه «الهدية الحميدية في اللغة الكردية». ولازم يوسفُ جمالَ الدين الأفغاني وتوثقت علاقته به، وكان يوسف من أجرأ دعاة الإصلاح والمطالبين بالدستور.[٢٢]

وتولى ياسين بن محمد علي رئاسة بلدية القدس (١٨٩٨م ـ ١٩٠١م) بعد أخيه يوسف ضياء الدين، كما عُيِّن عضواً في المجلس العمومي لبيروت. وتلقى روحي بن ياسين (١٨٦٤م ـ ١٩١٣م) دروسه الأولى في المسجد الأقصى، ثم ما لبث أن التحق بالمكتب الملكي السلطاني الحديث الإنشاء في إستانبول، ثم بجامعة السوربون في باريس. وانضم روحي إلى حزب الاتحاد والترقي وكان وثيق الصلة بجمال الدين الأفغاني، شأنه في ذلك شأن عمه يوسف ضياء الدين. وعُيِّن مدرّساً في جمعية نشر اللغات الأجنبية في باريس، ثم قنصلاً عاماً للدولة العثمانية في مدينة بوردو الفرنسية حيث أمضى عشرة أعوام، ثم انتخب نائباً عن القدس عقب إعلان الدستور في مجلس المبعوثان، وأعيد انتخابه سنة ١٩١٢م وتولى نيابة رئاسة المجلس. ونشر روحي أبحاثاً قيمة معظمها في مجلة «الهلال» المصرية، منها: «فيكتور هوكو وعلم الأدب عند الإفرنج والعرب»؛ «الانقلاب العثماني

(٢٢) Khalidi, op. cit., pp. 67-76, 84-85.

وتركيا الفتاة»؛ «رسالة في سرعة انتشار الدين المحمدي»،[٢٣] ومخطوطاً في «الصهيونية» سنأتي إلى ذكره تواً. ودرس نظيف (توفي سنة ١٩١٦م) بن عبد الرحمن بن محمد علي الهندسة في إستانبول، وعُيِّن مهندساً لبلدية بيروت بعد انتهاء عمله في إنشاء سكة حديد الحجاز.[٢٤]

تنبّه علماء آل الخالدي مبكراً للخطر الصهيوني بعد بدء الهجرة الصهيونية في أوائل الثمانينات من القرن التاسع عشر، وخصوصاً بعد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل (سويسرا) في آب/أغسطس ١٨٩٧. وفي أول آذار/مارس ١٨٩٩ وجّه يوسف ضياء الدين إلى تيودور هيرتسل، مؤسس الصهيونية ورئيس المنظمة الصهيونية، رسالة عبر صديق هيرتسل كبير حاخامي فرنسا صدوق كاهْن. ومما جاء في الرسالة أن «فلسطين تكوّن جزءاً لا يتجزأ من الإمبراطورية العثمانية، وهي مأهولة اليوم بغير اليهود. ويقدّس هذه البلاد أكثر من ٣٩٠ مليون مسيحي وثلاثمائة مليون مسلم. فبأي حق يطالب بها اليهود لأنفسهم؟ إن الأموال اليهودية لن تستطيع شراء فلسطين. ولذا فإن امتلاكها لن يكون إلاّ بقوة المدافع والسفن الحربية... لذا حتى ولو حصل هيرتسل على موافقة السلطان عبد الحميد على المخطط الصهيوني، فعليه ألاّ يفكر بأنه سيأتي اليوم الذي يصبح فيه الصهيونيون أسياد هذه البلاد.»[٢٥]

ويأتي رد هيرتسل في رسالة مباشرة إلى يوسف ضياء الدين بتاريخ ١٩ آذار/مارس ١٨٩٩ بالفرنسية. ويقع الرد في أربع صفحات، وفحواه أن الصهيونية لا تبيت إلاّ كل الخير للدولة العثمانية ولسكان فلسطين عامة، وأنها ستعين الدولة العثمانية على التخفيف من ديونها، وأنه في حال عدم موافقة إستانبول على المخطط الصهيوني فإن الحركة الصهيونية ستتوجه إلى بلد غير فلسطين، وهي «قادرة على إيجاد هذا البلد البديل.» وهذه الرسالة هي الوحيدة الموجهة من هيرتسل إلى زعيم عربي على ما

---

(٢٣) Ibid., pp. 76-87;
مناع، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٧؛ الأسد، مصدر سبق ذكره.

(٢٤) مناع، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

(٢٥) المصدر نفسه، ص ١٦٠.

نعلم.[٢٦] ويحاول نظيف بن عبد الرحمن بن محمد علي السالف الذكر، قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، الاتصال ببعض كبار زعماء الحركة الصهيونية في فلسطين لسبر غور أهدافهم، ويساهم في لقاءات بينهم وبين شخصيات عربية بارزة، بينها محمد كرد علي وعبد الرحمن شهبندر وشكري العسلي، وتتوقف هذه اللقاءات بعيد نشوب الحرب.[٢٧] ويعرب خليل بن بدر بن مصطفى السالف الذكر، في أوائل الحرب العالمية الأولى، في رسالة إلى موسى شفيق بن طاهر بن علي أحد أبناء عمومته، الذي كان قاضياً شرعياً (توفي سنة ١٩٢٧م)، عن أمله بأن تكون نتيجة الحرب النصر للألمان وحلفائهم العثمانيين، «وباب سعادة وإقبال لهذه الأمة الإسلامية التي تكالب عليها الطامعون وأضرّ بها أعداؤها المدلسون.» ويتوقع أن ينجم عن انتصار ألمانيا «تقسيم القارة الأوروبية تقسيماً جديداً. . . وستنفصل عن الروس بهذه الحرب الضروس ممالك واسعة وأرجاء شاسعة معظمها مسكون بجمهور الإسلام. وأمّا النتيجة على بلادنا فلسطين فهي خلاصها من ربقة الصهيونيين وشرهم وهذا أمر بيّن لا تردد فيه.»[٢٨] ويحذّر روحي بن ياسين، في مقابلة صحافية مع جريدة «هتسوفيه» العبرية الصادرة في القدس سنة ١٩٠٩م، من أن استمرار الهجرة الصهيونية والنشاط الاستيطاني في فلسطين قد يؤديان مستقبلاً إلى طرد العرب أهالي البلد الأصليين من فلسطين، ويخاطب الصهيونيين قائلاً: «لسنا مدينين لكم بشيء فقد فتحنا هذه البلاد من البيزنطيين وليس منكم.»[٢٩] ويثابر روحي، مع غيره من النواب العرب، على طرح موضوع الصهيونية في مجلس المبعوثان الذي كان عضواً فيه ونائباً للرئيس. وفي إحدى خطبه سنة ١٩١١م نبّه إلى تكاثر عدد المهاجرين اليهود في فلسطين، وخصوصاً إلى سعة ما اشتروه من أراض في متصرفية القدس، وإلى عدم جدوى تدابير الدولة العثمانية لتحديد الهجرة

---

(٢٦) وليد الخالدي، «قبل الشتات: التاريخ المصوّر للشعب الفلسطيني ١٨٧٦ ـ ١٩٤٨» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٧)، ص ٤١.

(٢٧) مناّع، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

(٢٨) العسلي، «العلامة خليل الخالدي. . .»، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠١.

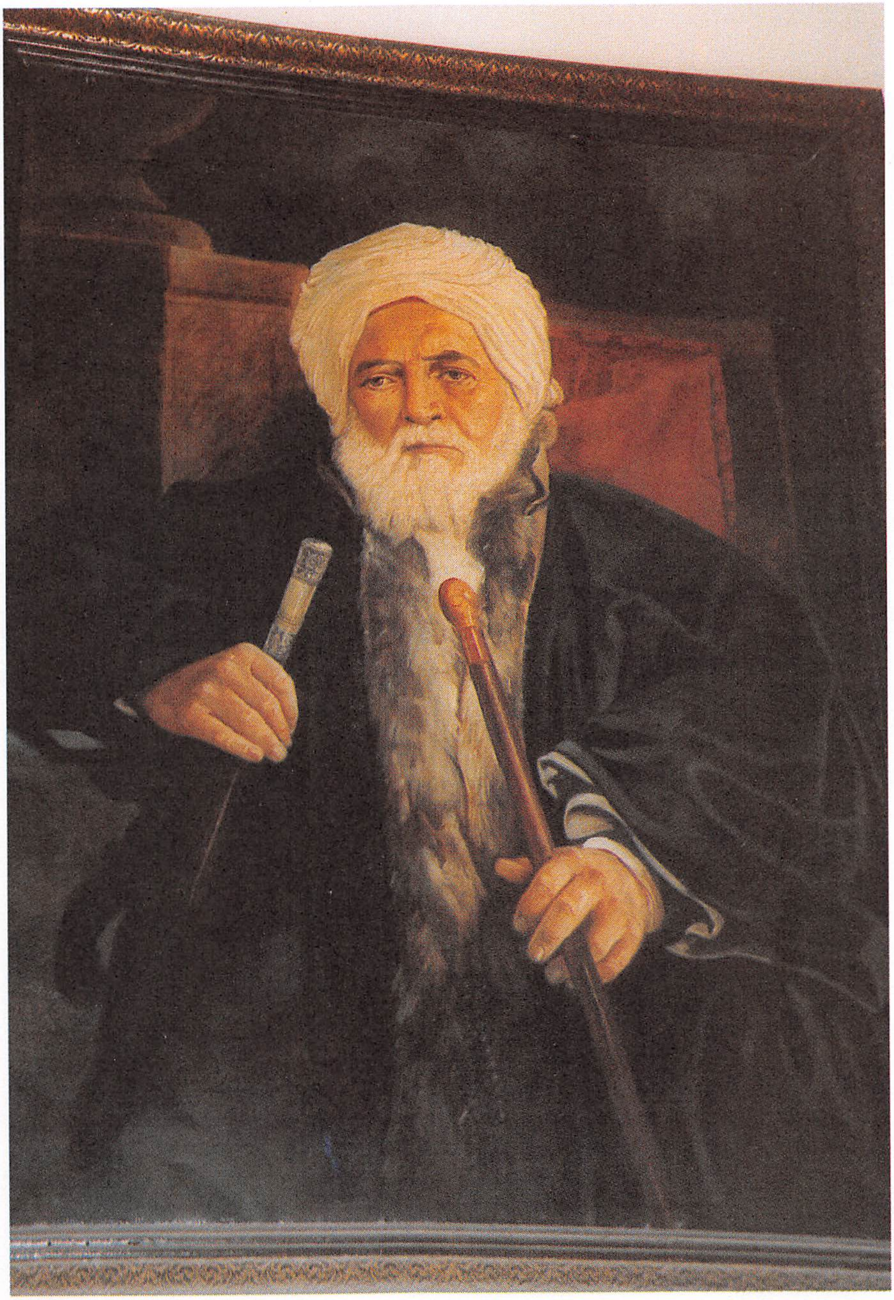
(٢٩) مناّع، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٠.

وضبطها، وإلى خطورة كون نسبة العثمانيين من يهود فلسطين لا تتجاوز عشرة في المئة بينما الباقون من رعايا دول أوروبية.[٣٠] وينكبّ روحي في آخر سني حياته على كتابة دراسة بعنوان «السيونزم أو المسألة الصهيونية»، وهي المخطوط الذي أشرنا إليه آنفاً. وتتضمن الدراسة عدة فصول منسقة في الأسباب والدوافع التي أدت إلى قيام الحركة الصهيونية في القرن العشرين، وفي علاقة اليهود الدينية بفلسطين، وعلاقتهم بالعرب والدول الإسلامية على مر العصور، وفي مداولات المؤتمرات الصهيونية وقراراتها بدءاً بالمؤتمر الأول سنة ١٨٩٧م، وفي المؤسسات الصهيونية واليهودية في فلسطين. ويختم المؤلف الدراسة التي لم ينهها قبل وفاته سنة ١٩١٣م، بفصل قائم على البحث الميداني عن جميع المستعمرات التي تم إنشاؤها، مع إحصاءات مفصّلة عن كل مستعمرة على حدة، وعن مساحات الأرض التي اشتراها الصهيونيون وبائعيها؛ وهكذا تكون هذه الدراسة، بلا منازع، أول دراسة أكاديمية مفصّلة موثقة بالعربية عن الحركة الصهيونية في القرن العشرين.[٣١]

---

(٣٠) المصدر نفسه.

(٣١) وليد الخالدي، «كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية لمحمد روحي الخالدي المتوفى سنة ١٩١٣»، في: «دراسات فلسطينية: مجموعة أبحاث وضعت تكريماً للدكتور قسطنطين زريق»، تحرير هشام نشّابه (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٨)، ص ٣٧ ـ ٨١؛ وليد الخالدي، «مئة عام على المؤتمر الصهيوني الأول»، في جريدة «الحياة» (لندن)، ١٩٩٨/٨/٢٩ وما يلي.



محمد علي الخالدي
(ت ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م)
عميد العائلة
في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي

ثالثاً: تأسيس المكتبة الخالدية ١٧٢٠م - ١٩٠٠م

ليست الخالدية المكتبة الإسلامية الفلسطينية الوحيدة التي سلمت مما حل بالبلد من نوائب وأهوال سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٦٧. وفيما يلي قائمة بهذه المكتبات والخزائن الناجية الأُخرى، مع مواقعها وعدد المخطوطات العربية في كل منها:

١) خزانة عبد الله أبي الخير (أبو سنان، قضاء عكا، ١٣١ مخ)؛
٢) خزانة جامع أحمد باشا الجزّار (عكا، ٧٨ مخ)؛
٣) خزانة جامع قرية بُرقين (قضاء جنين، ١١ مخ)؛
٤) مكتبة الحرم الإبراهيمي (الخليل، ١٤٧ مخ)؛
٥) مكتبة جامع يافا الكبير (يافا، ٣٣٩ مخ)؛
٦) مكتبة المسجد الأقصى (القدس، ٦٦٦ مخ)؛
٧) المكتبة البديرية (القدس، ٦٣٦ مخ)؛
٨) مكتبة الحسيني (القدس، ١٧٢ مخ)؛
٩) مكتبة المتحف الإسلامي في الحرم الشريف (القدس، ٦٤٤ مخ. معظمها نسخ عن مصاحف مهداة إلى مسجدي الأقصى وقبة الصخرة)؛
١٠) خزانة كلية الدعوة وأصول الدين (بيت حانينا، قضاء القدس، ١١٠ مخ)؛
١١) خزانة آل صوفان (نابلس، ٤ مخ)؛
١٢) خزانة الحاج نمر النابلسي (نابلس، ٩٨ مخ)؛
١٣) الخزانة الجوهرية (نابلس، ٥٢ مخ)؛[٣٢]

(٣٢) Lawrence I. Conrad and Khader I. Salameh, «Palestine,» in *World Survey of Islamic Manuscripts*, Gen. Editor Geoffrey Roper (London: Al Furqan Islamic Heritage Foundation, 1993), vol. 2, p. 563ff.

١٤) خزانة الشيخ طاهر أبي السعود (القدس،؟).[٣٣]

وتتميز الخالدية بما يلي:

أ) اختير معظم مخطوطاتها بعناية وتبصّر من قبل علماء فقهاء اعتمدوها مراجع في مختلف مناصبهم التدريسية والقضائية على مر القرون.

ب) تضم المكتبة، إضافة إلى المخطوطات، آلاف الوثائق والأوراق العائلية والخاصة التي تركها الكثير ممن ذكرنا من أفراد العائلة.

جـ) تضم كذلك خزائن الكتب المطبوعة، بالعربية وبلغات أجنبية، لبعض أبرز أفراد العائلة من المتأخرين. ويبلغ عدد هذه الكتب، التي يعود معظمها إلى القرن التاسع عشر ميلادي، نحو ٥٠٠٠ مجلد.

د) تعتبر مجموعة مخطوطات الخالدية أكبر المجموعات الفلسطينية، ومن أكبر المجموعات الإسلامية الخاصة في العالم. ولقد أحصى محرر فهرسها الذي صدر مؤخراً عن مؤسسة الفرقان في لندن، الدكتور نظمي الجعبه، نحو ١٢٠٠ مخطوط فيها، تضم ٢٠٠٠ عنوان.

وأول من بلغ إلى علمنا من آل الديري الخالدي ممن وقف كتبه، هو الشيخ أبو الرضا طه بن صالح بن شرف الدين يحيى (أنظر الشجرة ٢، ص ٥٨ أدناه). وشرف الدين يحيى الجد هذا هو أخو شهاب الدين أحمد (الرقم ٦ في السلسلة أعلاه). وتحمل حجة وقف الشيخ طه تاريخ سنة ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م. ويستهل الشيخ طه شرح الأسباب الداعية إلى تأسيس وقفه بقوله: «إني لمّا ابتليت بخدمة القضا وفصل الأحكام بمدينة القدس الشريف وبلد الله الحرام وشاهدت ما يحصل في المتروكات إذا انتقل الإنسان من التهاون والهوان، لا سيما إن كان من العلماء أولي الكتب العظيمة الشان...» استخار الله في وقف «ما أنعم الله به عليه من الكتب التي حصلها بعضها بخطه وبعضها بالشرى وصانها بمشيئة الله بذلك عن الضياع والنوى.» ثم يعدد الشيخ طه كتبه التي وقفها بعناوينها وتبلغ خمسين مجلداً ونيف، ويجعلها وقفاً

(٣٣) كامل جميل العسلي، «معاهد العلم في بيت المقدس» (عمّان: الجامعة الأردنية، ١٩٨١)، ص ٣٩١. ويذكر العسلي عدداً آخر من الخزائن المقدسية التي ضاعت أو نهبت في حرب ١٩٤٨ وحرب ١٩٦٧، أنظر: المصدر نفسه، ص ٣٩٠ وما يلي.

على نفسه، ثم من بعده على ابنه «نور الله بصره وبصيرته لتحصيل العلوم»، ثم من بعده على عقبه، وإذا انقرضوا «على علماء المسلمين سواء كانوا من أهل بيت المقدس أو غيرهم.» بيد أننا لا نعلم شيئاً عما آلت إليه كتب الشيخ طه (توفي سنة ١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م)، وإلى أين انتهت.[٣٤]

ونستطيع أن نحدد بدقة متى تأسست نواة الخالدية وعلى يد من؛ فمؤسسها هو محمد صنع الله الكبير (توفي سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٦م) السالف الذكر (أنظر الشجرة ٣، ص ٥٩ أدناه)، بموجب حجة وقف حررت سنة ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م، وجعل «الوقف وقفاً صحيحاً شرعياً وحبساً صريحاً مرعياً لا ينمحي اسمه ولا يندرس رسمه ولا يضيع عند الله ثوابه وأجره وكلما مر عليه زمان أكده وحيثما أتى عليه دهر وأوان وطده وأخلده، يجري الحال على ذلك كذلك أبد الآبدين ودهر الداهرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.» ووقف الواقف كتبه التي ذكرها بعناوينها، ويبلغ عددها نحو ٥٦٠ مخطوطاً، على نفسه وعلى ذريته من الذكور. فإذا انقرضت آلت الكتب إلى العلماء «ينتفعون بها بالمطالعة بالصخرة المشرفة.» وكان معظم الكتب الموقوفة في الفقه والأصول والفرائض والحديث والنحو وتوابعه. وشرط محمد صنع الله على الناظر على وقفه «ألاّ يعير كتاباً لمتجوّه [أي لذي جاه] ولا لذي شوكة ولا لمن يعسر عليه الخلاص منه ولا يخرج من يده، إلاّ لمن احتاجه من العلماء لمراجعة مسألة من كتاب فيظهر له الكتاب ويطالع المسألة بحضور الناظر ثم يعيده لمحله مع الكتب وإذا دعت الضرورة لأحد من العلماء أن يستعير كتاباً فيأخذ منه الناظر رهناً ولا تزاد العاريه [أي الإعارة] على شهر.» وواضح كل الوضوح من الشروط الخاصة بالناظر، أن الواقف لم يرغب في اقتصار استعمال كتبه على ذريته وإنما أراد أن تكون بوجود عقبه في تصرف العلماء المخلصين عامة. وهكذا يمكننا اعتبار محمد صنع الله الكبير لا مؤسس نواة المكتبة فحسب، بل مؤسس المكتبة ذاتها كمكتبة عامة أيضاً على الصورة المذكورة.[٣٥]

(٣٤) يرد نص الوقفية في المجموع العائلي المذكور أعلاه (الحاشية ٧)، ص ٤٣٤ وما يلي.
(٣٥) نص حجة الوقف في: المصدر نفسه، ص ٥٢٠ ـ ٥٢٩.

وحذا محمد صنع الله الابن (توفي سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م) حذو والده فوقف، بدوره، كتبه البالغ عددها نحو ٢٦٠ مخطوطاً على نفسه وعلى الذكور من ذريته، على أن تؤول إلى العلماء في الصخرة المشرفة إذا انقرض عقبه. واشترط كذلك على الناظر الشروط عينها، وبحروفها، التي اشترطها والده، بيد أنه اختصر فترة الإعارة بحيث «لا تزيد على ثلاثة أيام»، لكنه لم يطالب بأي رهن في المقابل. والطريف في وقف محمد صنع الله الابن أن زوجته شاركته فيه، إذ يرد في مستهل حجة وقفه أنه «وقع الإلهام الإلهي في نفس كل واحد من عمدة العلماء العظام الحاج محمد صنع الله ابن المرحوم صاحب الخيرات الشيخ محمد صنع الله الخالدي الديري العبسي وفخر المخدّرات السيدة طرفنده خاتون بنت عمدة العلماء الفخام الشيخ نجم الدين أفندي الخيري المفتي بالقدس سابقاً»، وأن الحاج محمد صنع الله والسيد عبد الله الموقّت، وكيل السيدة طرفنده، حضرا إلى مجلس الشرع وأشهدا على أنفسهما أصالة ووكالة أنهما وقفا ثلاثة أرباع الكتب الآتي ذكرها للحاج محمد وربع ذلك للسيدة طرفنده، وحررت حجة الوقف هذا بتاريخ ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م.[٣٦]

وتمر السنون ويتوارث الأولاد والأحفاد كتب محمد صنع الله الكبير وابنه، ويتشتت بعضها ويضاف إليها البعض الآخر، وتتوزع في بيوت العائلة، فيثير وضعها اهتمام روحي بن ياسين الذي يقرر أن يجمعها ويضم بعضها إلى بعض في مكان واحد (أنظر الشجرتين ٣ و٤، ص ٥٩، ٦٠ أدناه)؛ وهو ما فعله خلال ١٨٨٥م ـ ١٨٨٦م. ويخبرنا الحاج راغب بن نعمان[٣٧] أن روحي «همّ بتأسيس مكتبة عمومية بالقدس الشريف وأودع هذه الروح الشريف في أفراد عائلته ولكن في ذاك الوقت لم تساعده الأقدار

(٣٦) من نسخة بين أيدينا عن حجة الوقف بتاريخ أواسط ربيع الثاني سنة ١٢٠١هـ/١٧٨٦م، منقولة طبق الأصل عن سجلات المحكمة الشرعية، سجل ٢٦٧، ص ١٥٢.

(٣٧) بين أيدينا نسخة عن «إعلان بتأسيس مكتبة عمومية في القدس الشريف»، بخط الحاج راغب الخالدي من دون تاريخ. لكن نظراً إلى إشارتها إلى وفاة والدة الحاج راغب السيدة خديجة خانم «قبل سنتين» من تحرير الإعلان فلا بد من أن يكون قد حرر سنة تأسيس المكتبة، أي سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م.

لانشغاله في دار السعادة [أي إستانبول] لتحصيل العلوم، ولكن أبقى ذلك الروح ينمو في عروق بني مخزوم حتى أراد الله تعالى ويسّر.» وهكذا يكون روحي صاحب فكرة مكتبة عمومية بالمعنى الحديث. وقد تلقف هذه الفكرة عنه الحاج راغب نفسه في العقد الأخير من القرن التاسع عشر ميلادي.

يتابع الحاج راغب روايته عن تأسيس المكتبة فيقول: «إن جميع المحل المتهدم الملاصق إلى تربة الأمير حسام الدين بركة خان وأولاده من أمراء المصريين هي تحت تصرف والدي الشيخ نعمان أفندي الخالدي الأزهري، وبعد وفاته بقيت على ما كانت عليه، ومنذ سنتين [أي سنة ١٨٩٨م] كانت توفت والدتي المرحومة السيدة خديجة خانم بنت السيد موسى أفندي الخالدي، القاضي عسكر سابقاً، فأوصت قبل وفاتها من مالها بمبلغ لعمارة تلك الخرابة وضمها إلى التربة وجعلها مكتبة.» وهكذا تكون السيدة خديجة السيدة الثانية التي ساهمت في تأسيس المكتبة بعد السيدة طرفنده السالفة الذكر. ولا ندري ما إذا كانت أخذت الفكرة مباشرة من روحي بن ياسين، أم عملت بوحي من ولدها الحاج راغب. المهم أنه بعد أن توفر المال للحاج راغب من أجل عمارة المكتبة أسرع إلى استشارة «بقية السلف الصالح كبير العائلة الخالدية الحاج محمد ياسين وطلب معونته مادياً وأدبياً على ما بثه لنا ولده المقدام روحي أفندي من تأسيس مكتبة عمومية. فشد أزرنا وأمدنا من إحساناته وإشاراته، فأسرعت لبنائها وعملت ما يلزم لها من الخزائن.»

وبعد أن تم ترميم مبنى المكتبة وتجهيزها أخذ الحاج راغب يودعها ما كان روحي جمعه من المخطوطات المتوارثة، ويضم إليها مما لديه ولدى سائر أفراد العائلة. أمّا الإضافات إلى ما جمعه روحي فكانت، بحسب رواية الحاج راغب، «بعضها هبة من جناب أصحاب الفضيلة والمعزة سر كاتب المحكمة الشرعية السيد موسى شفيق الخالدي وابني أخيه السيد عثمان نوري أفندي والسيد صنع الله أفندي ما ينوف عن ٤٠٠ مؤلف فجزاهم الله خيراً.» وصنع الله المذكور هنا هو طبعاً غير صنع الله الابن السالف الذكر (أنظر الشجرة ٣، ص ٥٩ أدناه). وأضاف الحاج راغب إلى ما جمعه بهذه الوسيلة ما ينوف على ٢٠٠ مؤلف من مكتبته الخاصة، فبلغ مجموع ما

أودعه المكتبة عند تأسيسها، بحسب قوله، «ما ينوف عن الألف وثلاثماية مؤلف منها ما يزيد عن السبعماية كتاب خطية والباقي طبع.»

ويشرح لنا الحاج راغب تحمّسه هو لتأسيس المكتبة بقوله: «إن العرب لمّا دخلت عليهم الحضارة والمدنية أسسوا المكتبات والمدارس وتبعهم الإفرنج واقتفوا أثرهم... وما زالوا [أي الإفرنج] تاركين التقاليد والأفكار المبنية على الظن والتخمين نابذينها ظهرياً، وأكثروا اعتمادهم على اليقينيات والمجرّبات... فنتج عن ذلك ما هم عليه من الثروة واليسار والطمع بما لدى غيرهم من الأراضي المخفية والمناجم المعدنية...». ويردف ذلك بقوله أنه استخار الله في تسمية المكتبة الخالدية نسبة إلى سيدنا خالد بن الوليد وتذكاراً لاسمه، وأنه «مهما امتطينا قطارات الآمال لنباري ما لدينا من المؤسسات الأجنبية في هذه الديار لخاب العمل ولكن قد قيل ما فات بعضه لا يترك كله وأملنا قوي بالفوز.»[٣٨]

افتتحت المكتبة رسمياً سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م في موقعها في طريق باب السلسلة المطل على البراق، وهو الطريق المؤدي إلى أحد أبواب الحرم الشريف الرئيسية. وتم الاتفاق بين أفراد العائلة على أنه متى توفي أحد من الأسرة تنقل كتبه إلى المكتبة،[٣٩] وأن يكون لها ناظر متفرّغ، وأن تكون مفتوحة الأبواب لمن يرغب في المطالعة من أي فرد كان، على ألاّ يخرج منها كتاب.[٤٠] ووقف الحاج راغب نصف ريع حمام العين في القدس من حصته من الأوقاف العائلية تأميناً لدخل ثابت يكفل صيانة المكتبة وإشراف الناظر عليها.[٤١]

وحدث بعيد افتتاحها أن أتى القدس العلامة الشيخ طاهر الجزائري، ناظر المكتبة العمومية الدمشقية، منفيّاً من دمشق بأمر من السلطة العثمانية.

(٣٨) المصدر نفسه.

(٣٩) العسلي، «معاهد العلم...»، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٠، نقلاً عن: فيليب دي طرازي، «خزائن الكتب العربية في الخافقين ـ المكتبة الخالدية» (بيروت: وزارة التربية والفنون الجميلة، ١٩٤٧).

(٤٠) «مقدمة أبي الخير محمد بن محمود الحبّال لبرنامج المكتبة الخالدية العمومية»، أنظر الحاشية (٦) أعلاه.

(٤١) العسلي، «معاهد العلم...»، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٠ ـ ٣٨١.

وكان الشيخ طاهر «صديقاً حميماً» للحاج راغب.[٤٢] فطلب منه الحاج راغب أن يساعده في تصنيف موجودات المكتبة وتبويبها، فاقترح عليه الشيخ طاهر دعوة أبي الخير محمد محمود الحبّال صاحب جريدة «ثمرات الفنون» البيروتية، والذي يصف نفسه بـ «الدمشقي محتداً والبيروتي منشأً ومولداً»،[٤٣] وذلك للقيام بمهمة وضع برنامج (أي فهرس) للمكتبة. ودعي الحبّال وقام بمهمته وطبع الفهرس في القدس في السنة ذاتها (١٣١٨هـ/١٩٠٠م) بعنوان «برنامج المكتبة الخالدية العمومية». ويقول الحبّال في مقدمته للفهرس إنه طلب إليه «ترتيب هذه الكتب وإفراد كل فن منها على حده وكتابة أسمائها على ظهورها مع وضع نمر لها... وقد أتممنا هذا الأمر في وقت قصير مع كثرة أشغالنا المهمة ولهذا وقع فيه بعض أغلاط في الطبع وهي طفيفة لا تخفى على فطن فمن رأى فيه [أي البرنامج] سبق قلم أو زلة قدم أن يسبل ذيل الستر حلماً وكرماً.»[٤٤]

ويبلغ مجمل عدد الكتب الوارد ذكرها في برنامج الحبّال ١١٥٦ كتاباً (أي مجلداً)،[٤٥] منها نحو ٦٨٥ مخطوطاً والباقي مطبوع، يضاف إليها ٢٤ كتاباً خطياً جمعها الشيخ طاهر الجزائري من الدشت، وأثبتها الحبّال في آخر البرنامج.[٤٦] ويضيف الحبّال في ذيل البرنامج أنه «يوجد في المكتبة غيرها كثير [أي غير الكتب التي ذكرها] وضعناها على حده وضربنا عن ذكرها صفحاً، إمّا لأنها مكررة أو لكثرة وجودها بين الأيدي أو لفقدان بعضها وضيق الوقت عن جمعها وتكميلها وسنثبتها إن شاء الله في الطبعة الثانية.»[٤٧] وأغلب الظن أن الكتب التي أهملها الحبّال كانت في معظمها مطبوعة، فإذا صح ذلك يكون عدد الكتب في المكتبة عند إنهاء الحبّال

---

(٤٢) المصدر نفسه، ص ٣٨٠، نقلاً عن: طرازي، مصدر سبق ذكره.

(٤٣) الحبّال في مقدمته لبرنامج المكتبة الخالدية المذكورة أعلاه (الحاشية ٤٠).

(٤٤) المصدر نفسه.

(٤٥) فهرسة المصدر نفسه. ولقد أحصينا عدد الكتب المخطوطة والمطبوعة بينها، إذ إن الحبّال يشير قبالة كل كتاب بكلمة «خط» أو «طبع».

(٤٦) المصدر نفسه، ص ٨٦ ـ ٨٧.

(٤٧) المصدر نفسه، ص ٨٨.

لبرنامجها مطابقاً لعدد الكتب التي ذكر الحاج راغب[٤٨] أنه جمعها. ويروي الحبّال[٤٩] أن الشيخ طاهر الجزائري قرظ المكتبة بقوله:

أقول وقد عاينت كتباً نفيسة ... تروق ذوي الألباب وهي منى النفسِ
أيا طالباً أقصى المعارف راغباً ... لنيل العلى بادرْ لمكتبة القدسِ

(٤٨) أنظر أعلاه صفحة ٢٩ ـ ٣٠.

(٤٩) الحبّال في ذيل مقدمته المذكورة أعلاه (الحاشية ٤٠).

رابعاً: المكتبة من سنة ١٩٠٠م إلى سنة ١٩٦٧م

مرت المكتبة خلال هذه الفترة بثلاثة أطوار رئيسية، امتد الأول من تأسيسها إلى نهاية العهد العثماني، والثاني من الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٧م إلى نهاية الانتداب وحدوث النكبة سنة ١٩٤٨م، والثالث من النكبة سنة ١٩٤٨م إلى سقوط القدس بكاملها في يد إسرائيل سنة ١٩٦٧م.

الطور الأول: ١٩٠٠م ـ ١٩١٧م

تميزت المكتبة في هذا الطور بنموها المطّرد، وكان أهم أسباب هذا النمو أن أضيفت إليها خزائن من توفي من أفراد الأسرة. ذلك بأن الأسرة منيت على التوالي، خلال أقل من عقدين من السنين، بوفاة كل من ياسين بن محمد علي (سنة ١٩٠١م)، وأخيه يوسف ضياء الدين باشا (سنة ١٩٠٦م)، وابن عمومته أحمد بدوي (سنة ١٩١٢م)، وابنه روحي (سنة ١٩١٣م)، وابن أخيه نظيف بن عبد الرحمن (سنة ١٩١٦م) (أنظر الشجرتين ٣ و٤، ص ٥٩، ٦٠ أدناه)، فانتقلت كتبهم جميعاً إلى المكتبة بحسب ما اتفق عليه.(٥٠) وحدث بعد إعداد برنامجها وطباعته أن عاد كل من الشيخ طاهر الجزائري وأبي الخير محمد الحبّال إلى بلده، وأشرف على المكتبة طوال هذه الفترة الحاج راغب الخالدي، يعاونه الشيخ خليل بن بدر الخالدي السالف الذكر. كما تعيّن الشيخ محمد أمين الدنف الأنصاري المقدسي قيّماً متفرّغاً عليها. وزار المكتبة في هذه الأثناء عدد من العلماء العرب

---

(٥٠) العسلي، «معاهد العلم...»، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٠، نقلاً عن: طرازي، مصدر سبق ذكره؛ عبد الله مخلص، «نفائس الخزانة الخالدية في القدس الشريف»، في: «مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق»، المجلد ٤ (١٩٢٤)، ص ٣٦٦ ـ ٣٦٩، ٤٠٩ ـ ٤١٣. وقد أعاد نشرها صلاح الدين المنجد في كتابه «المخطوطات العربية في فلسطين» (بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢)، ص ٦٣.

والمستشرقين، وكان أهم الزوار المستشرق البريطاني مرغوليوث.(٥١) ويروي العلامة الفلسطيني عبد الله مخلص، عضو المجمع العلمي العربي في دمشق، أنه (أي مخلص) زارها سنة ١٩١٧م، وأن القيّم الشيخ الأنصاري أخبره أن عدد الكتب فيها حينذاك كان «زهاء أربعة آلاف مجلد»، فرأى فيها نفائس المطبوعات ونوادر المخطوطات، وكتب بحثاً يصف نحو خمسين مخطوطاً منها. وذكر مخلص أن عيسى إسكندر المعلوف، عضو المجمع، كان ذكر المكتبة قبله في مقالته «القدس وتواريخها العربية» المنشورة في مجلة «المقتبس»، وكذلك فعل حبيب أفندي الزيات في كتابه «خزائن الكتب في دمشق وضواحيها» المطبوع في القاهرة سنة ١٩٠٢م.(٥٢)

الطور الثاني: ١٩١٧م ـ ١٩٤٨م

كانت هذه فترة استقرار أكثر مما هي فترة نمو في الموجودات. إلاّ إنه جرى بعض الإضافات المتأتية عمّا تبقى من كتب المتوفين في الفترة السابقة، وعن طريق هبات من أفراد الأسرة الأحياء ومن زوارها من العلماء العرب والمستشرقين. وكذلك عن طريق النسخ والاستنساخ على يد الشيخ الأنصاري، آخر ورّاقي بيت المقدس. ولم يساعد ريع أوقاف المكتبة المتواضع في تنمية موجوداتها بصورة ملحوظة. بيد أن صيت المكتبة أخذ في الذيوع، فزارها من كبار المستشرقين خلال هذه الفترة الفرنسي ماسينيون، والألماني كاله، واليهودي غويتين، والبريطاني غِب،(٥٣) وغيرهم كثيرون. كما زارها الكثير من الباحثين والعلماء العرب والمسلمين، ودوّن الزائرون ملحوظاتهم عليها في سجل خاص تحتفظ المكتبة به إلى يومنا هذا. وتطرق إلى ذكرها محمد كرد علي الدمشقي في «خطط الشام» سنة ١٩٢٨م، واللبناني فيليب دي طرازي في «خزائن الكتب العربية في الخافقين» سنة ١٩٣٦م، والبحاثة الدمشقي الحلبي الأصل الدكتور

(٥١) يذكر مخلص إهداء مرغوليوث كتبه إلى المكتبة، أنظر: المنجد، المصدر نفسه، ص ٦٣.
(٥٢) مخلص، مصدر سبق ذكره. أنظر أيضاً: المنجد، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣.
(٥٣) أذكر، شخصياً، زيارات المستشرقين الواردة أسماؤهم.

محمد أسعد طلس،[٥٤] الذي وصفها بـ «أعظم دور كتب القدس»، ونشر سنة ١٩٤٥م بحثاً عن أكثر من مئة وعشرة مخطوطات من نفائس مخطوطاتها.[٥٥]

استمر الحاج راغب الخالدي، بمعونة الشيخ خليل الخالدي، في الإشراف على المكتبة حتى أوائل الأربعينات، يعاونهما الشيخ أمين الأنصاري. على أن الشيخ خليل توفي سنة ١٩٤١م، وأخذ والدي المربّي والمؤرخ أحمد سامح بن راغب، مدير الكلية العربية في القدس، مهمة الإشراف عن والده لكبر سنه. واستمر أحمد سامح في الإشراف على المكتبة، بمعونة الشيخ الأنصاري والبحاثة إسطفان حنا إسطفان،[٥٦] حتى النكبة، حين اضطر إلى هجرة منزله والكلية العربية على جبل المكبّر في القدس في أيار/مايو ١٩٤٨ لوقوعهما على خط النار، واللجوء إلى لبنان حيث توفي سنة ١٩٥١م عن ٥٤ عاماً، بعد أن أسس مدرسة للاجئين الفلسطينيين في قرية الحنّية من أعمال صور على حدود فلسطين الشمالية.

ولقد قيل بالنسبة إلى المكتبة لهذه الفترة إن عدد الكتب ازداد من ٤٠٠٠ كتاب سنة ١٩١٧م إلى ١٢,٠٠٠ كتاب سنة ١٩٤٥م، وإن الجردة لكتب المكتبة التي أجريت بعيد حرب ١٩٦٧ (التي سنذكرها لاحقاً)، أظهرت أن عدد الكتب التي تحتويها لم يتعد ٦٠٠٠ كتاب. ويعلق المؤرخ المقدسي الدكتور كامل العسلي على ذلك بقوله: «إذا افترضنا أن هذه الأرقام كلها صحيحة أو قريبة من الصحة لتبين لنا أن مجموعة المكتبة قد نقصت

---

(٥٤) العسلي، «معاهد العلم...»، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٠ ـ ٣٨١.

(٥٥) محمد أسعد طلس، مقالات عن «دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها» في: «مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق»، المجلد ٢٠ (١٩٤٥)، والمجلد ٢١ (١٩٤٦). وقد أعاد نشرها المنجد، مصدر سبق ذكره، ص ٨ ـ ٦٢.

(٥٦) ترجم إسطفان حنا إسطفان إلى الإنكليزية عن الأصل التركي المحفوظ في الخالدية وقفية خاسكي سلطان زوجة السلطان سليمان القانوني بعنوان «An Endowment Deed of Khasseki Sultan dated 24th May 1552». والوقفية بتاريخ ٩٦٠هـ/١٥٥٢م. ونشرت الترجمة مع صور للأصل التركي في:

Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine 10 (1940), pp. 170-199.

في الثلاثين سنة الماضية ٥٠٪ وهو رقم مخيف.»[٥٧] وطبعاً لو صحّت الأرقام وصحّ النقص لكان ذلك مخيفاً حقاً. بيد أن هذه الأرقام غير صحيحة، ولا تستند إطلاقاً إلى أي أساس يوثق به، على الرغم من تكرارها في أكثر من مرجع.[٥٨] ونحن على يقين تام من أن الزيادة التي جرت على كتب المكتبة خلال الانتداب البريطاني لم تصل، ولم يكن في وسعها أن تصل، إلى ثلاثة أضعاف ما كانت عليه سنة ١٩١٧م، وأنها في واقع الأمر لم تتعد الثلث على أبعد تقدير، أي بزيادة نحو ٢٠٠٠ كتاب من الموارد التي ذكرناها سالفاً، وذلك للأسباب الثلاثة التالية:

أولاً: لم يشكل إيراد المكتبة من الأوقاف في أي يوم من الأيام مصدراً للإنفاق على مقتنيات جديدة لها، بسبب تواضعه وإنفاقه على صيانة المكتبة. ولم تطرأ أية زيادة على هذا الإيراد خلال هذه الفترة، بل بالعكس أخذ في التناقص بسبب ارتفاع غلاء المعيشة المتزايد.

ثانياً: كان مصدر نمو المكتبة الأساسي خزائن المتوفين من أفراد الأسرة من هواة اقتناء الكتب. ولسنا نعلم عن أي فرد من هؤلاء توفي خلال الفترة ١٩١٧م - ١٩٤٨م سوى الشيخ خليل بن بدر بن مصطفى الذي انتقل إلى رحمته تعالى سنة ١٩٤١م. بيد أن ظروفاً عائلية تتعلق بتسوية تركته حالت دون نقل كتبه النفيسة إلى الخالدية، فظلت في صناديقها إلى أن نقلت سنة ١٩٧٧م،[٥٩] بطلب من ورثته، إلى مكتبة المسجد الأقصى، لاعتبار هذه الأخيرة حينذاك أكثر أماناً من الخالدية ذاتها في أوضاع ما بعد حرب ١٩٦٧. ومع ذلك، فإن ما بقي من كتب الشيخ خليل التي نقلت إلى المسجد الأقصى، على أهميتها،

---

(٥٧) العسلي، «معاهد العلم...»، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٤ - ٣٨٥.

(٥٨) وممن أعطى أرقاماً مغلوطاً فيها ومبالغاً فيها عن عدد كتب الخالدية في أواسط الأربعينات، عارف العارف، «المفصّل في تاريخ القدس» الذي يستشهد به العسلي، «معاهد العلم...»، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٤.

(٥٩) العسلي، «العلامة خليل الخالدي...»، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٤.

لم يزد على نحو ٨٦٠ كتاباً[٦٠] بين مخطوط ومطبوع.

ثالثاً: إن حجم قاعة المكتبة وسعة خزائنها وطول رفوفها لم تكن لتسمح أصلاً باستيعاب عدد من الكتب يزيد على العدد الذي بيّنته الجردة بعيد حرب ١٩٦٧، والذي أشار إليه العسلي. إذ إن هذه الكتب التي كانت في حدود ٦٠٠٠ كتاب، ملأت جدران المكتبة وخزائنها على جوانبها كافة، من الأسفل إلى الأعلى.

الطور الثالث: ١٩٤٨م ـ ١٩٦٧م

لم تصب المكتبة إصابة مادية مباشرة خلال القتال في القدس سنة ١٩٤٨م، لكنها طبعاً تأثرت بذيول النكبة، شأنها في ذلك شأن سائر المعاهد العربية في القدس وخارجها. وكان من نتائج النكبة تشتت الكثير من أفراد الأسرة مع من تشتت من الآلاف من أهالي القدس ومئات الآلاف من سكان فلسطين. وظلّ الشيخ الأنصاري في موقعه قيّماً على المكتبة يقيم بمنزل من منازل الأوقاف العائلية خصص له في جوارها، ويستقبل الزائرين فيها بناء على موعد سابق، إلى أن توفّاه الله في أوائل الخمسينات وتسلّم ابنه منه مفتاحها.[٦١]

أشرف على المكتبة ممثّلاً للعائلة، خلال هذه الفترة، الدكتور حسين فخري ابن الحاج راغب الخالدي إلى أن توفي سنة ١٩٦٢م. وكان الدكتور حسين آخر رئيس عربي منتخب لبلدية القدس بكاملها (١٩٣٥م ـ ١٩٣٨م)، ثم زعيم حزب الإصلاح وعضو اللجنة العربية العليا وأمين سر خليفتها الهيئة العربية العليا. وتولى بعد النكبة منصب حارس الأماكن المقدسة في القدس من قبل الحكومة الأردنية، ثم أصبح وزيراً لخارجية الأردن ورئيساً لحكومته.[٦٢] وتسلّم المهندس عادل بن حسين فخري الخالدي، بعد وفاة

(٦٠) المصدر نفسه.

(٦١) العسلي، «معاهد العلم...»، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨١.

(٦٢) أنظر: «الموسوعة الفلسطينية» (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤)، المجلد الثاني، ص ٢٤٤؛ يعقوب العودات، «من أعلام الفكر والأدب في فلسطين» (عمّان، ١٩٧٦)، ص ١٥٠ ـ ١٥١.

أبيه، مهمة الإشراف على المكتبة واستمر في ذلك إلى أن وقعت حرب ١٩٦٧ عندما تعذر عليه دخول القدس. وتولى المهندس عادل منصب وكيل وزارة الخارجية الأردنية، وأوفد سفيراً إلى إسبانيا.

اتسم وضع المكتبة في هذه الفترة بالركود نظراً إلى الأوضاع العامة، لكن تم الحفاظ عليها بفضل مساعي الدكتور حسين فخري وابنه المهندس عادل ومعونة الأنصاري الابن.

وتوفي خلال هذه الفترة من ذوي الخزائن الكبرى من أفراد العائلة، والدي أحمد سامح في بيروت سنة ١٩٥١م، وجدي الحاج راغب في نابلس سنة ١٩٥٢م رحمهما الله. وظلّت مكتبة أحمد سامح في بيروت حيث نقلها بعد مغادرته القدس وتوزعها أولاده. أمّا مكتبة الحاج راغب في منزله في ضاحية تل الريش من أعمال يافا، حيث كان يقيم بعد تقاعده، فقد استولت عليها القوات الإسرائيلية عندما احتلت المنزل في أيار/مايو ١٩٤٨، وضاع معظم الكتب التي كان يملكها سائر أفراد الأسرة المقيمين بالقدس عندما احتلت القوات الإسرائيلية في نيسان/أبريل وأيار/مايو ١٩٤٨ منازلهم في أحياء القدس العربية الغربية، حيث كانوا يقطنون؛ وهو ما جرى أيضاً خلال سنة ١٩٤٨م لكتب الآلاف من العرب في القدس وخارجها من أهل فلسطين.



غرفة المحراب في المبنى الرئيسي.



إحدى نوافذ المبنى الرئيسي.

خامساً: المكتبة منذ سنة ١٩٦٧م

مرت المكتبة منذ سنة ١٩٦٧م بثلاثة أطوار:

الأول من سنة ١٩٦٧م إلى سنة ١٩٨٢م، وفيه جابهت المكتبة محاولات إسرائيلية متكررة لمصادرتها أو الاستيلاء عليها؛ الثاني من سنة ١٩٨٢م إلى سنة ١٩٩٠م، وفيه خاضت الخالدية معارك قضائية في المحاكم الإسرائيلية دفاعاً عن حقوقها ووجودها؛ الثالث من سنة ١٩٩٠م إلى يومنا الحاضر، وقد شهد ظهور جمعية أصدقاء المكتبة وتبنيها برامج طموحة للحفاظ عليها وتنميتها.

الطور الأول: ١٩٦٧م ـ ١٩٨٢م

كان هذا أقسى الأطوار وأخطرها، ذلك بأن إسرائيل فور احتلالها القدس الشرقية أخذت تصادر الأحياء الإسلامية الواقعة في الجنوب الشرقي من البلدة القديمة داخل الأسوار قبالة حائط البراق الذي يعتبره اليهود حائط مبكاهم. وكان طريق باب السلسلة حيث تقع المكتبة على جانبه القبلي يحدّ هذه الأحياء المصادرة من الشمال. وشرعت إسرائيل لتوها في هدم وجرف أحد هذه الأحياء بكامله وطرد سكانه منه وهو حي المغاربة، وهو الأقرب إلى كل من الخالدية والبراق. وكان الملك الأفضل ابن صلاح الدين الأيوبي قد وقف بعضه لجهة البر سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م، ووقف معظمه لاحقاً أحد حفدة أبي مدين شعيب بن الحسين الغوث القطب التلمساني على الحجاج المغاربة المجاورين. وكانت زاوية أبي مدين التي أزيلت مع الحي تقع على بعد أمتار من الخالدية.[٦٣]

كانت منازل الأحياء المصادرة تابعة، في معظمها، لأوقاف مختلف

---

(٦٣) راجع: روحي الخطيب، «تهويد القدس»، الجزء الثاني (عمّان، ١٩٧١)، ص ٢١ وما يليها؛ العسلي، «معاهد العلم...»، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٨.

العوائل المقدسية الإسلامية. وكانت «حصة» آل الخالدي من الخسارة الجماعية ما ينوف على ٤٠ عقاراً من منازل وشقق ودكاكين استولت إسرائيل عليها، بما في ذلك منزل القاضي موسى بن محمد بن خليل بن صنع الله الكبير، والد السيدة طرفنده خاتون اللذين سبق ذكرهما.(٦٤) وشمل قرار المصادرة مبنى المكتبة ذاته، واحتل الجنود الإسرائيليون الطبقة العلوية الشرقية المطلة على ساحتها والتابعة لأوقاف العائلة أيضاً، وأُلصق على بابها بيان المصادرة باعتبارها من أملاك الغائبين. ولم يكن متولي الأوقاف العائلية، المهندس عادل بن حسين فخري، حينذاك في القدس، فقام مقامه حيدر بن كامل بن عبد الرحمن بن محمد علي الخالدي. وكامل هذا هو أخو نظيف السالف الذكر (أنظر الشجرة ٤، ص ٦٠ أدناه). وتمكن حيدر بمفرده، وبما منّ الله عليه من قوة الإيمان والعزيمة، وبما لديه من وثائق، من التصدي لقرار المصادرة وإثبات بطلان الادعاء بكون المكتبة من أملاك الغائبين؛ فأنقذ بذلك المكتبة من ضياع محتوم.

وما لبث حيدر أن ألّف لجنة محلية لتعينه على حماية المكتبة. وكانت اللجنة مؤلفة منه، ومن ابن عمه حازم، وابنه (أي ابن حيدر) كامل، وابنته الآنسة هيفاء (أنظر الشجرة ٤، ص ٦٠ أدناه)، وصديق العائلة عبد الله العكّاوي المقدسي.(٦٥) وكان أول عمل تولته اللجنة القيام بجرد محتويات المكتبة من مخطوطات ومطبوعات. وانتهى هذا الجرد سنة ١٩٦٨م، وتبيّن أن موجودات المكتبة مؤلفة من ١٢٩٣ مخطوطاً و٤٧٠٤ كتب مطبوعة، أي ما مجموعه ٥٩٩٧ مجلداً، وأن عدد المطبوع بالعربية هو ٣١٣٥ مجلداً وباللغات الأجنبية ١٥٦٩ مجلداً. وهذا هو الجرد الذي اعتمد عليه الدكتور كامل العسلي في تقديراته المغلوط فيها، في نظرنا، كما أسلفنا.(٦٦)

لم تنته المحاولات الإسرائيلية للاستيلاء على المكتبة بالطعن الموفق في الادعاء بكونها من أملاك الغائبين. فمنذ أواخر السبعينات أخذ مدنيون

(٦٤) معلومات أرسلها إليّ حازم الخالدي في أواخر الستينات، في تقرير خاص، مع تفصيلاتها.

(٦٥) معلومات نقلها إليّ كامل بن حيدر الخالدي.

(٦٦) معلومات نقلها إليّ كامل بن حيدر الخالدي.

من اليهود يحلّون بالتدريج مكان الجنود الإسرائيليين المحتلين للطبقة العلوية الشرقية المشرفة على ساحة المكتبة. وتبيّن فيما بعد أن هؤلاء هم طليعة تلاميذ مدرسة تلمودية (يشيفا بالعبرية) تابعة لحركة دينية من غلاة الغلاة، على رأسها كبير حاخامي الجيش الإسرائيلي سابقاً، الحاخام غورين. وما هي إلاّ بضعة أشهر حتى شُرع في أعمال بناء محمومة بغية إشادة طبقة ثالثة فوق الطبقة العلوية الشرقية المحتلة، ثم بالالتفاف حول ساحة المكتبة من الناحية القبلية وبناء جناح ثان للمدرسة التلمودية أخذ يعلو شيئاً فشيئاً فوق حائط الساحة من هذه الناحية، وإذا بنوافذ تفتح فيه تطل على الساحة، وبشمعدان ضخم ذي سبعة أعمدة يرتفع فجأة على سطح هذا الجناح، وعلى رأس كل من الأعمدة مشعل كهربائي كبير أخبرنا العالمون أن إضاءتها قبالة حائط البراق إنما ترمز إلى برنامج حركة الحاخام الدينية وطموحها إلى إعادة بناء الهيكل في ساحة الحرم الشريف وعلى أنقاض مسجدي الأقصى وقبة الصخرة. ورافق حركة البناء هذه رمي متراكم على ساحة المكتبة للردم الناجم عن البناء وقاذوراته. وكانت الساحة تضم ثلاثة قبور لأمراء الخوارزميين الذين وفدوا إلى المشرق للمشاركة في قتال الإفرنج، وكانت وفاتهم بين سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م وسنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م.(٦٧)

الطور الثاني: ١٩٨٢م ـ ١٩٩٠م

لم يعد في أوائل الثمانينات أي مجال للشك في أن الحاخام غورين عقد النية على الاستيلاء على المكتبة بهذه الأساليب، بعد إخفاق محاولة المصادرة، وأن جلّ ما يقف دون ذلك هو حيدر وأعضاء لجنته المعدومي الإمكانات بسبب ما حل بأوقاف العائلة من خسائر جسيمة. فتم الاتصال بواضع هذا الكتيب، وليد بن أحمد سامح بن الحاج راغب (أنظر الشجرة ٥،

---

(٦٧) نشر العسلي الكتابات على شواهد القبور الثلاثة في صحن التربة في كتابه «معاهد العلم...»، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٦. أنظر أيضاً وصفاً شاملاً لمبنى تربة بركة خان، وهي موقع الخالدية وثاني أقدم بناء مملوكي في القدس، في الكتاب الموسوعي:

M.H. Burgoyne, *Mamluk Jerusalem* (London: World of Islam Festival Trust, 1987), pp. 109-116.

ص ٦١ أدناه)، واتفق على إنشاء صندوق خاص لجمع التبرعات، وعلى خطة عمل ينفق عليها من أموال الصندوق. وتضمنت خطة العمل التحرك على خطين متوازيين: الأول اللجوء إلى المحاكم المحلية في محاولة لإيقاف الحاخام عند حده إن أمكن، والثاني مباشرة العمل على ترميم المكتبة ومحتوياتها إثباتاً للوجود واستباقاً لمشاريع الحاخام. وتألفت لجنة عائلية مصغّرة لهذا الغرض، ضمت كلاً من حيدر بن كامل من الداخل، ووليد بن أحمد سامح، والمهندس منذر بن ثابت بن نظيف، والدكتور رشيد بن إسماعيل بن الحاج راغب، من المقيمين بالشتات.

تلقى الصندوق الخاص تبرعات جاءت على التوالي من الحاجة فاطمة بنت الحاج راغب عن طريق ابنها هاني بن محمد سلام البيروتي، ومن منذر وأخيه الأكبر نظيف الخالدي، ومن الصديق المحسن ورجل الأعمال الفلسطيني حسيب صباغ، ومن سمو الأمير حسن بن طلال، ومن موسى شفيق بن جميل بن موسى شفيق الخالدي. وموسى شفيق الجد هذا كان من مؤسسي المكتبة في أواخر القرن التاسع عشر كما أسلفنا.

وتنفيذاً للخطة المتفق عليها قدمت الشكوى ضد الحاخام بشأن إلقائه الردم على الساحة وفتحه النوافذ في الحائط القبلي. وبعد طول تدبّر وتداول من قبل المحكمة، وزيارة أعضاء المجلس البلدي الإسرائيلي بأسره، بمن فيهم رئيس البلدية والقاضية رئيسة المحكمة نفسها، لموقع المكتبة لم يكن في وسع المحكمة إلاّ أن تحكم في مصلحة المكتبة وتأمر الحاخام بسد النوافذ وإزالة الردم والإقلاع عن إلقائه مجدداً.

بيد أنه عندما حاولت اللجنة العائلية تنفيذ خطة الترميم لأبنية المكتبة اعترض الحاخام ومؤسسات استيطانية بتحريض منه على ذلك، تارة بحجة أن الترميم يهدد سلامة الطبقات التي بناها الحاخام، وتارة بحجة أن المكتبة في حال فتحها تشكل خطراً أمنياً على مدرسته التلمودية، وتارة بحجة أحقية المدرسة التلمودية في تملّك المكتبة!!

وطالت المقاضاة عدة أعوام في كر وفر دائمين. لكن النتيجة كانت أن المحكمة لم يسعها أخيراً إلاّ أن تحكم ثانية في مصلحة المكتبة وتدحض ادعاءات الحاخام وحلفائه.

وما إن انتهت المعركة مع الحاخام حتى بدأت المعركة مع البلدية ذاتها ومختلف لجانها المتخصصة للحصول على الإذن في البدء بأعمال الترميم. وماطلت البلدية ولجانها ما استطاعت ولعدة أعوام، بذرائع وأسباب متنوعة، بعضها جمالي الادّعاء وبعضها فني أو بيروقراطي مختلق قبل منح الإذن أخيراً، بحيث لم يتسن البدء بأعمال ترميم أبنية المكتبة إلاّ في أواخر الثمانينات.

وفي هذه الأثناء تقدم حيدر في السن وضعف بصره، واضطر ابنه كامل إلى الانتقال إلى عمّان لممارسة عمله هناك. وفي سنة ١٩٨٠م توفي حازم الخالدي، ساعد حيدر الأيمن، ذلك بأن حازم رحمه الله كان صلب العود انضم ضابطاً إلى الجيش البريطاني في مصر خلال الحرب العالمية الثانية بنصيحة والدي أحمد سامح ويحضوري، وارتقى في الرتب حتى وصل إلى رتبة العميد (ميجر) بنهاية الحرب، وكلّف من قبل جامعة الدول العربية خلال حرب ١٩٤٨ رئاسة مدرسة حربية في سورية لتدريب الضباط الفلسطينيين؛ وهي المدرسة التي تخرج منها الكثير من ضباط جيش التحرير الفلسطيني فيما بعد. وبوفاة حازم لم يبق من أفراد العائلة القادرين في القدس، لمساعدة حيدر، سوى ابنته الآنسة هيفاء (أنظر الشجرة ٤، ص ٦٠ أدناه). وقامت هيفاء ولا تزال تقوم بالواجب خير قيام، وحافظت بذلك على تقليد سيدات العائلة في المساهمة في رعاية المكتبة.

لم تكن مهمة هيفاء سهلة، ذلك بأنه تخللت سني المقاضاة والسعي للحصول من البلدية على إذن في الترميم، مضايقات من قبل المستوطنين المسلحين اليهود بتحريض من الحاخام غورين ومن غيره. واتخذت هذه المضايقات مرات كثيرة شكل زيارات في أواخر الليل وأوائل الفجر لمنزل حيدر المجاور للمكتبة، يطرق خلالها الباب بأعقاب البنادق ويعلو فيها صوت التهديد والشتم. حتى إنه في إحدى هذه الزيارات رافق أفراد من البوليس الإسرائيلي المستوطنين، وأصروا على استلام مفتاح المكتبة ثم أعادوه بعد مرور عدة أيام. وكانت هيفاء هي التي تتصدى لهذه التهديدات والمناورات، وتتلقاها نيابة عن أبيها المسنّ المريض، بشجاعة ورباطة جأش اشتهرت بهما.

ولا بد في هذا الصدد من أن نذكر أن المكتبة تلقت العون، في محنتها مع الحاخام غورين ومع بلدية القدس، من عالمين إسرائيليين فاضلين، هما الدكتور أمنون كوهين والدكتور داني باهات، اللذان ساهما في إقناع المحكمة ولجان البلدية بما أدليا به من معلومات وشهادات عن صحة موقف القيّمين على المكتبة، فاستحقا منا كل شكر وتقدير. كما ساعد في هذا الاتجاه أيضاً الاتصالات التي أجرتها اللجنة العائلية بوزارة الخارجية الأميركية وقنصل الولايات المتحدة الأميركية العام في القدس. وتقرر خلال هذه الفترة تسمية اللجنة العائلية بـ «جمعية أصدقاء المكتبة الخالدية»، وإضافة أعضاء آخرين إليها من العائلة ومن خارجها، ودعمها بمجلس استشاري أكاديمي رفيع المستوى مؤلف من كبار المستشرقين المتعاطفين في الجامعات الأوروبية والأميركية.

وتقرر خلال هذه الفترة، أيضاً، عدم انتظار نتيجة المقاضاة في المحاكم أو صدور إذن من البلدية في البدء بالترميم، وإنما المضي في عمليتين لا تحتاجان إلى موافقة السلطات الإسرائيلية، هما دراسة إعداد فهرس عصري لمخطوطات المكتبة، ومباشرة ترميم المخطوطات وصيانتها وفق أحدث الأساليب العلمية. وهكذا تم الاتفاق سنة ١٩٨٥م مع المستشرق الأميركي الدكتور لورنس كونراد لدراسة مشروع الفهرس، ومع توني بيش الخبير البريطاني بترميم المخطوطات سنة ١٩٨٦م، وأنفقت جمعية أصدقاء المكتبة من صندوقها على زيارات سنوية للمكتبة قام بها كل من كونراد وبيش خلال الفترة ١٩٨٥م ـ ١٩٩٢م، وكانا يمكثان في القدس فترات تتراوح كل منها بين أسبوعين وشهر واحد، وكان يرافقهما أحياناً بعض المساعدين.

تمكن كونراد، خلال هذه الزيارات، من تكوين فكرة إجمالية عن عدد لا يستهان به من المخطوطات، ومن وضع قائمة أولية (Shelf List) بها.[٦٨] ثم إنه في أثناء التمهيد لأعمال الترميم اكتُشفت سنة ١٩٨٧م

(٦٨) وضع لورنس كونراد (Lawrence Conrad) أيضاً، بالاشتراك مع باربرا كيلنر ـ هينكيلي (Barbara Kellner-Heinkele) دراسة بعنوان «Ottoman Resources in the Khalidi Library in Jerusalem,» in *Proceedings of the Ninth Symposium of Pre-Ottoman and Ottoman Studies.* Edited by =

تحت السقف القرميدي للمكتبة مجموعة ضخمة من الأوراق من مختلف الحجوم، ينوف عددها على ١٠,٠٠٠ ورقة هي خليط من الدشت والأوراق الشخصية والوثائق الرسمية وصفحات المخطوطات المبعثرة، فقام كونراد بتصنيفها وجمعها، وعثر من خلال ذلك على مخطوطات قيّمة كاملة، وعلى أجزاء مكملة لغيرها.(٦٩)

أمّا توني بيش، فقد أشرف على تبخير مجموعة المخطوطات بكاملها، وعلى فتح وتنظيف كل مخطوطة منها على حدة، ووضعها في صندوق خاص مادته عازلة تصونها عن الرطوبة والحموضة.(٧٠)

وفي سنة ١٩٨٩م تم تشكيل مجلس أمناء جمعية أصدقاء المكتبة من وليد أحمد سامح الخالدي، وكامل حيدر الخالدي، ومنذر بن ثابت الخالدي، والدكتور رشيد إسماعيل الخالدي، والدكتور بنجامين براون الأميركي، والسيدة بربارو إكّ الأميركية أيضاً. وسُجِّلت الجمعية كمؤسسة معفاة من الضرائب بموجب قوانين ولاية ماساوشتس في الولايات المتحدة، وانضمت إليها في وقت لاحق سمو الأميرة غيدا طلال، حفيدة الحاجة فاطمة بنت الحاج راغب الخالدي. وفي الوقت نفسه أنشئ مجلس استشاري أكاديمي دولي لمجلس الأمناء، أعضاؤه الآن هم: السفير المستشرق الدكتور نيكولاس بيخمان (سفير هولندا لدى الحلف الأطلسي)، والدكتور نظمي الجعبه (الأستاذ في جامعة بير زيت في فلسطين)، والدكتور رشيد إسماعيل

= Amnon Cohen and Amy Singer (Jerusalem: Magnes University Press, 1993).
وتشمل هذه الدراسة، إضافة إلى وصف مخطوطات الخالدية العربية، وصفاً لـ ١٨ مخطوطاً بالفارسية و٣٦ مخطوطاً بالتركية من موجودات الخالدية. وكانت السيدة كيلنر ـ هينكيلي زارت المكتبة بدعوة من جمعية أصدقاء المكتبة الخالدية. وكان العالمان دونالد ليتل (Donald P. Little) وأ. أنر تورغاي (A. Uner Turgay)، قبل كونراد وكيلنر ـ هينكيلي، قد وضعا بحثاً عن ٤٦ وثيقة عثمانية مختارة من وثائق الخالدية نشر في مجلة *Die Welt des Islams* 20 (1980), pp. 44-72.

(٦٩) وصف كونراد هذا الكشف في دراسته المشتركة مع كيلنر ـ هينكيلي (أنظر الحاشية السابقة).

(٧٠) نشر توني بيش وصفاً لأعمال الترميم التي قام بها في أثناء زياراته للمكتبة بعنوان: «صيانة محتويات المكتبة الخالدية في القدس» في كتاب «صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، أعمال المؤتمر الثالث لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي» (لندن، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ص ٣٩ ـ ٤٤.

الخالدي (الأستاذ في جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة)، والدكتور طريف أحمد سامح الخالدي (الأستاذ في جامعة كمبريدج في بريطانيا)، والدكتور فرد دونر (الأستاذ في جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة)، والدكتور غيرنوت روتّر (الأستاذ في جامعة هامبورغ في ألمانيا)، والدكتور أندريه ريموند (الأستاذ في جامعة إيكس أون بروفنس في فرنسا)، والدكتور جوزيف فان ايسّ (الأستاذ في جامعة توبينغين في ألمانيا)، والأب توماس ميشيل (من الفاتيكان).

في صيف سنة ١٩٩١م حصل الدكتور رشيد إسماعيل الخالدي على إحدى زمالات فولبرايت الأميركية، مكنته من أن يمضي عطلته الصيفية في القدس لثلاث سنوات متعاقبة، حيث أقام في شقة للزائرين ملحقة بالمكتبة وانكبّ على دراسة موجوداتها من الأوراق والوثائق العائلية. وشكلت هذه مصدراً أساسياً للكتاب المرجعي الذي وضعه بالإنكليزية عن الهوية الوطنية الفلسطينية الذي نشرته له جامعة كولومبيا في نيويورك سنة ١٩٩٧.[٧١]

الطور الثالث: من سنة ١٩٩٠م إلى يومنا الحاضر

بعد أن انتهينا من «معركتينا» مع الحاخام غورين والمؤسسات الاستيطانية، ومع بلدية القدس، وضعت جمعية أصدقاء المكتبة الخطة الثلاثية الأولى للسنوات ١٩٩١م ـ ١٩٩٤م، وشملت الأعمال التالية:

١ ـ الترميم الكامل لمبنى المكتبة من الداخل والخارج في تربة بركة خان على طريق باب السلسلة في البلدة القديمة.

٢ ـ تأثيثها وتجهيزها بأنظمة الحراسة والحرارة والتبريد ومكافحة الرطوبة، وبما يلزمها مع معدات (آلة لتصوير الميكروفيلم؛ أجهزة الهاتف والكومبيوتر والفاكس، إلخ).

٣ ـ الاستعاضة عن الخزائن الخشبية البالية برفوف حديدية، وشراء خزائن حديدية خاصة لحفظ الوثائق.

(٧١) أنظر الحاشية (١٧) أعلاه.

٤ ـ وضع فهرس علمي عصري لمخطوطاتها.
٥ ـ فهرسة كتبها المطبوعة والأوراق والوثائق العائلية.
٦ ـ تصوير المخطوطات على الميكروفيلم.
٧ ـ ترميم المخطوطات ترميماً كاملاً.
٨ ـ تجليد ما يلزم من مخطوطاتها وكتبها المطبوعة تجليداً لائقاً.
٩ ـ ترميم شقتين مجاورتين لاستضافة الباحثين وإقامتهم في أثناء زيارتهم وعملهم في المكتبة.
١٠ـ شراء المراجع الحديثة والأساسية بالعربية وباللغات الأجنبية.

عقدت جمعية أصدقاء المكتبة سنة ١٩٩١م، باقتراح من الدكتور لورنس كونراد، اتفاقاً مع حكومة مملكة هولندا قدمت بموجبه حكومة المملكة منحة لثلاث سنوات مكّنتها من البدء بتنفيذ هذا البرنامج الطموح. وكان للدكتور نيكولاس بيخمان، من كبار موظفي مديرية التعاون الدولي في وزارة الخارجية الهولندية حينذاك، الفضل الأكبر في إقرار حكومته لهذا الاتفاق في إثر زيارة قام بها واضع هذا الكتيب له في مكتبه في الوزارة.

وبفضل منحة المملكة الهولندية تم التعاقد على ما يلي:

أ ـ تكليف الدكتور لورنس كونراد إنجاز فهرس بالإنكليزية عن مخطوطات المكتبة كافة، على أن يتم ذلك في آب/أغسطس ١٩٩٤.
ب ـ تكليف خبير ترميم المخطوطات، توني بيش، الترميم الكامل لـ ١٢٠ مخطوطاً يختارها الدكتور كونراد كخطوة أولى في سبيل الترميم الكامل لجميع المخطوطات التي تحتاج إلى مثل هذا العمل.
ج ـ تكليف شركة ربيح المصري وكمال الأعرج الهندسية ترميم مبنى المكتبة وتجهيزه.
د ـ البدء بعمليات التصوير والتجليد وفهرسة الكتب المطبوعة.

وفي هذه الأثناء منينا، سنة ١٩٩٢م، بانتقال حيدر الخالدي إلى رحمته تعالى، لكنه توفي قرير العين شاهداً لثمرة جهوده وصموده راضياً

مرضياً رحمه الله.

وفي سنة ١٩٩٤م حصلت جمعية أصدقاء المكتبة على منحة من كل من اليونسكو (عن طريق البروفسور الكونت ريموند لامير، المسؤول فيها عن ملف القدس)، ومن الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي الذي يرئسه الدكتور عبد اللطيف الحمد والذي يدير دائرته الفنية الدكتور إسماعيل زبري، وذلك بتزكية من محافظ فلسطين في الصندوق رجل الأعمال عبد المحسن قطان.

وفي صيف سنة ١٩٩٤م، انتهت شركة المصري والأعرج من أعمال ترميم مبنى المكتبة وتأثيثه وتجهيزه، فكانت مناسبة لدعوة الدكتور نيكولاس بيخمان إلى زيارة المكتبة وتكريمه في حفل عائلي أعرب فيه عن ارتياحه الكامل إلى ما أُنجز.

وفي السنة ذاتها، وضعت جمعية أصدقاء المكتبة الخطة الثلاثية الثانية للسنوات ١٩٩٥م ـ ١٩٩٨م، وحظيت بفضل دعم الدكتور بيخمان على منحة ثانية من مملكة هولندا للمساهمة في تنفيذها. وشملت هذه الخطة ما يلي:

١ ـ إتمام تنفيذ ما لم ينجز بعد من بنود الخطة الثلاثية الأولى.

٢ ـ ترميم مبنى كبير من مباني أوقاف العائلة في الجهة المقابلة لمبنى المكتبة على طريق باب السلسلة، كملحق لها يخصص لكتب المكتبة المطبوعة، على أن تبقى المخطوطات في المبنى الأول، وعلى أن تفرد في مبنى الملحق قاعة لعرض وثائق مختارة من موجودات المكتبة، وأُخرى لعقد الندوات العلمية وإلقاء المحاضرات الخاصة بتراث القدس الإسلامي.

ولولا معونة الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، ومنحة حكومة المملكة الهولندية، لما كان في وسع جمعية أصدقاء المكتبة السير قدماً في تنفيذ الخطة الثلاثية الثانية. ومما زاد في إمكاناتها لتحقيق ذلك المعونة السنوية التي التزمتها سنة ١٩٩٥م السيدة خالدة، ابنة ممدوح بن السيدة نزهة بنت الحاج راغب الخالدي زوجة المحسن ورجل الأعمال الفلسطيني السيد جميل حبّاس. وهكذا اقتفت السيدة خالدة أثر من سبقها من سيدات العائلة في رعاية المكتبة منذ القرن الثامن عشر ميلادي.

وفي سنة ١٩٩٦م، زار المكتبة في القدس السيد جان برونك، وزير التنمية والتعاون الدولي الهولندي. ولخّص انطباعه عن سير العمل فيها بقوله: «هذا أفضل عمل يمكن لأي عائلة أن تقوم به.» وفي سنة ١٩٩٧م، كلفت جمعية أصدقاء المكتبة البروفسورة كلود لاروك، الأستاذة في جامعة السوربون والخبيرة بشؤون المكتبات، زيارة المكتبة ووضع تقرير بما تحتاج إليه من إصلاحات بيئية، فجنت الجمعية فوائد كبرى من توصياتها.

وكانت جمعية أصدقاء المكتبة قد اتفقت سنة ١٩٩٣م مع الدكتور الهادي الشريفي والدكتورة أهداف سويف، ممثلين لمؤسسة الفرقان لخدمة التراث الإسلامي المخطوط في لندن، على أن تنشر مؤسسة الفرقان بالاشتراك مع المكتبة الخالدية الفهرس الذي كان يقوم الدكتور لورنس كونراد حينذاك بإعداده بالإنكليزية، والذي كان من المتعاقد عليه أن ينجز سنة ١٩٩٤م كما أسلفنا، غير أن العمل في هذا المشروع تعثر لأكثر من سبب. وكان من حسن حظ جمعية أصدقاء المكتبة أن تعرّفت في هذه الأثناء، سنة ١٩٩٦م، على الدكتور نظمي الجعبه (خريج جامعة هايدلبرغ الألمانية في الدراسات الإسلامية، حيث أمضى ثمانية أعوام دراسية، والأستاذ في جامعة بير زيت في فلسطين)، فتم الاتفاق معه على أن يقوم هو بإعداد هذا الفهرس بالعربية، وهو العمل الذي استغرق إنجازه نحو خمسة أعوام، حيث صدر المجلد الأول منه عن دار مؤسسة الفرقان في لندن في نهاية سنة ٢٠٠١م. ولقد قامت هذه المؤسسة الجليلة بتحمل نفقات طباعة الفهرس كاملاً، وذلك بتوجيه من مؤسسها رجل الدولة والإحسان، معالي الشيخ أحمد زكي اليماني، أجزاه الله خير الجزاء.

وبعد، فقد انتهى العمل اليوم من الترميم الكامل لمبنى الملحق وتجهيزه على يد المقاول الهمام الحاج علي بركات، على الرغم من الصعوبات التي اعترضت سير العمل بسبب سياسات الإغلاق الإسرائيلية المتواصلة، وأصبح جاهزاً لاستقبال كتب المكتبة المطبوعة. وخطونا خطوات واسعة في المجالات الأخرى، من تصوير المخطوطات على الميكروفيلم، وتجليد الكتب المطبوعة وفهرستها، وترميم كامل على يد توني بيش للمئة الأولى من المخطوطات. كما أننا أضفنا إلى مجموعة المكتبة أول دفعة من

المقتنيات الجديدة منذ خمسين عاماً ونيف، وعددها نحو ٥٥٠ مرجعاً عربياً وأجنبياً جديداً. لكن ما زال أمامنا الكثير الكثير من العمل الشاق، من ترميم لما بقي من المخطوطات ترميماً كاملاً وتصويرها جميعاً، وإنهاء فهرسة الكتب المطبوعة، والبدء بفهرسة الآلاف من الأوراق والوثائق العائلية وتصويرها، وتصنيف ما بقي من الدشت، وإنهاء عملية تجليد ما يحتاج إلى تجليد، ووضع قواعد لإدارة المكتبة واستقبال الزائرين، وتحديد سياسة ملائمة للمقتنيات المستقبلية، وبلورة تصور لدور المكتبة المقبل في حفظ التراث الإسلامي المقدسي ولنشاطاتها المتعددة في هذا السبيل، وأخيراً لا آخراً في تأمين مصادر دعم ثابت لصيانتها وإدامتها وحمايتها تجاه ما يتربص بها من مكائد وأخطار في المستقبلين الأقرب والأكثر بعداً.

ولقد كان من حسن حظ المكتبة الخالدية أنها حصلت سنة ١٩٩٨م على منحة من مؤسسة فورد الأميركية، بفضل كل من السيد ستيفن لاوري المسؤول عن الشرق الأوسط في المؤسسة، والسيدة بسمة قضماني درويش نائبته، للمضي في تحقيق بعض هذه الأهداف.

وبعد، فهذا العمل هدية زاهرة وتحية عطرة نقدمها بخشوع إلى أرواح آبائنا وأجدادنا وأجداد أجدادنا، وإلى أرواح شهداء بيت المقدس وفلسطين أجمعين. والله ولي التوفيق ولا غالب إلاّ هو.



باحة مبنى ملحق المكتبة، وتشاهد في وسطها نجمة مملوكية ثمانية مؤلفة من مربعين.

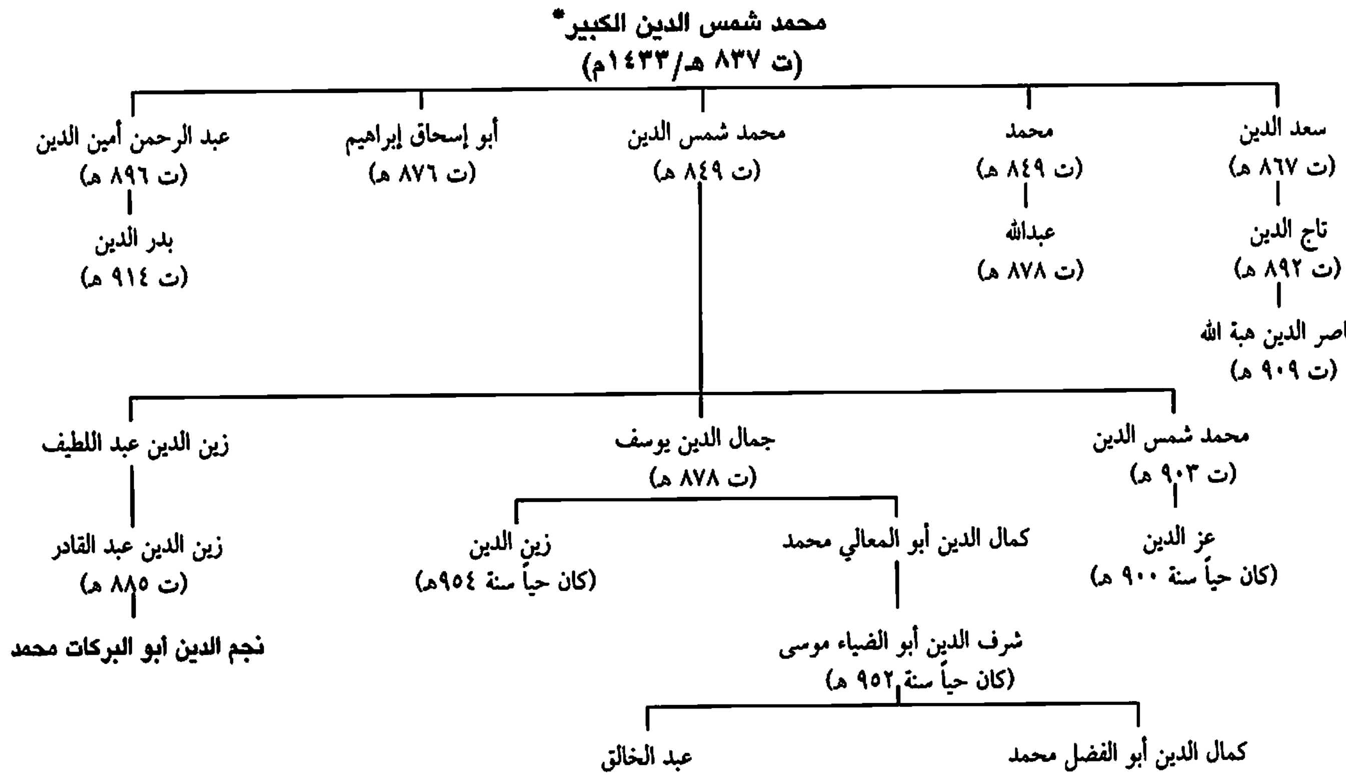


قاعة الندوات في ملحق المكتبة.



إحدى قاعتي المطالعة في ملحق المكتبة.

الشجرة ١

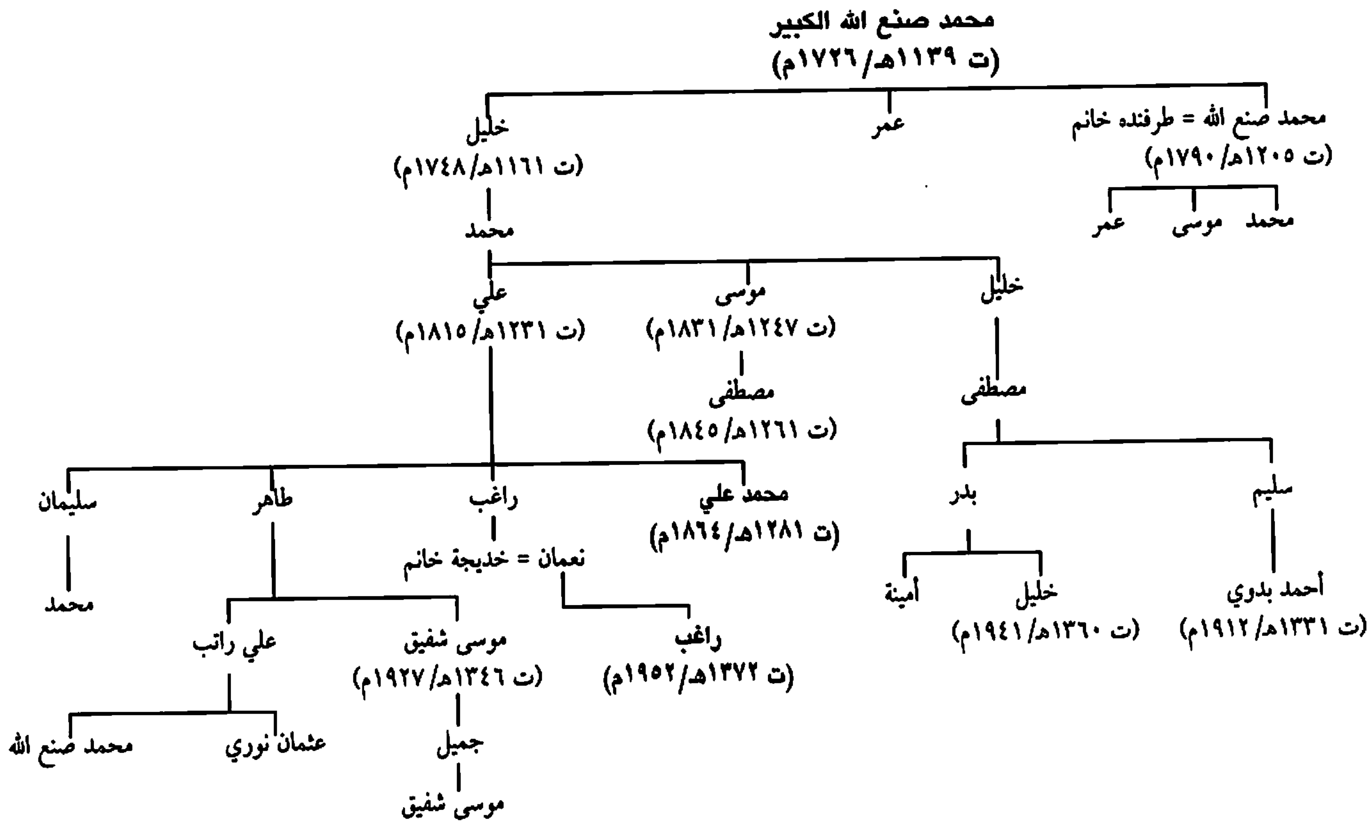


* هو ابن عبدالله شمس الدين بن جمال الدين عبد الوهاب المدفون في مقبرة ماملاّ في ظاهر القدس.

الشجرة ٢

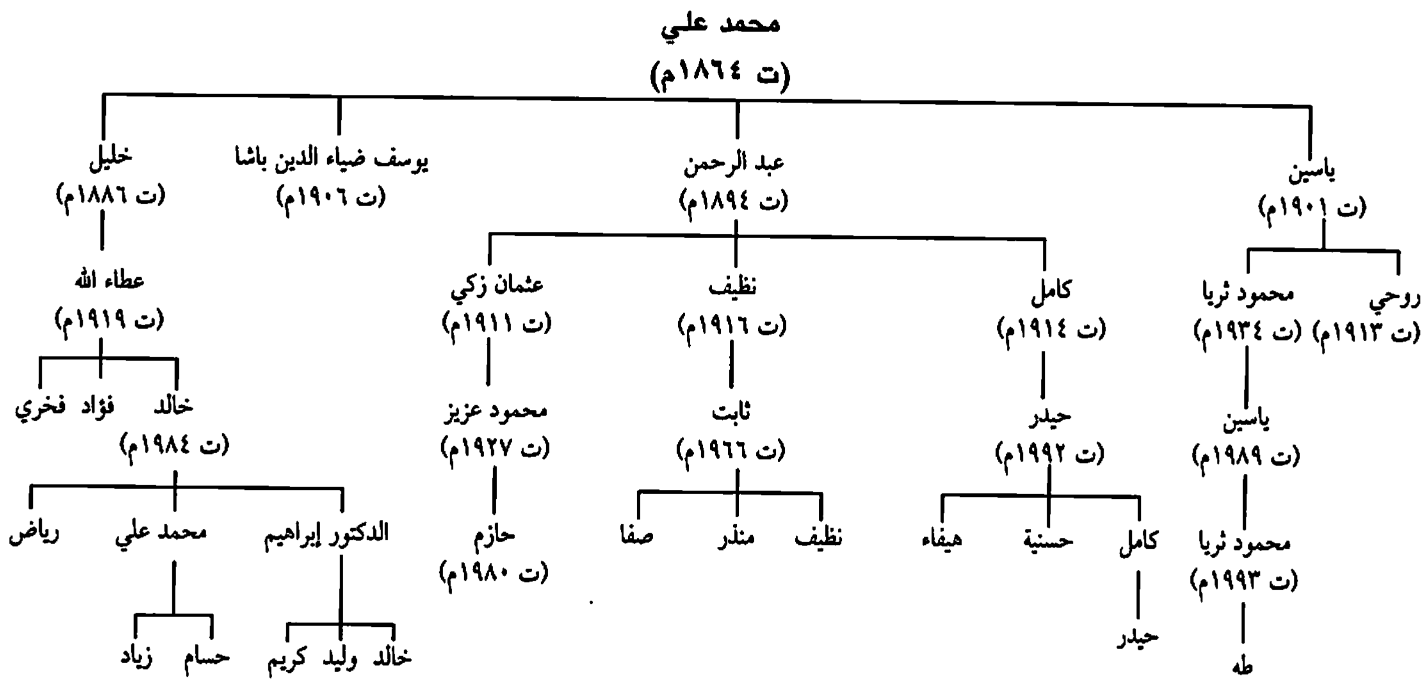

نجم الدين أبو البركات محمد
شرف الدين يحيى
صالح
طه
(ت ١٠٧١ هـ)
عبد القادر
شهاب الدين أحمد
محمود
صالح
شرف الدين
خليل
محمد صنع الله الكبير
(ت ١١٣٩ هـ)
كمال الدين أبو المعالي
أبو العون محمد
(كان حياً سنة ٩٥٢هـ)

الشجرة ٣



محمد صنع الله الكبير
(ت ١١٣٩هـ/١٧٢٦م)
محمد صنع الله = طرفنده خانم
(ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)
عمر
خليل
(ت ١١٦١هـ/١٧٤٨م)
محمد
موسى
عمر
محمد
خليل
موسى
(ت ١٢٤٧هـ/١٨٣١م)
علي
(ت ١٢٣١هـ/١٨١٥م)
مصطفى
مصطفى
(ت ١٢٦١هـ/١٨٤٥م)
سليم
بدر
محمد علي
(ت ١٢٨١هـ/١٨٦٤م)
راغب
طاهر
سليمان
نعمان = خديجة خانم
أحمد بدوي
(ت ١٣٣١هـ/١٩١٢م)
خليل
(ت ١٣٦٠هـ/١٩٤١م)
أمينة
محمد
راغب
(ت ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م)
موسى شفيق
(ت ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م)
علي راتب
جميل
عثمان نوري
محمد صنع الله
موسى شفيق

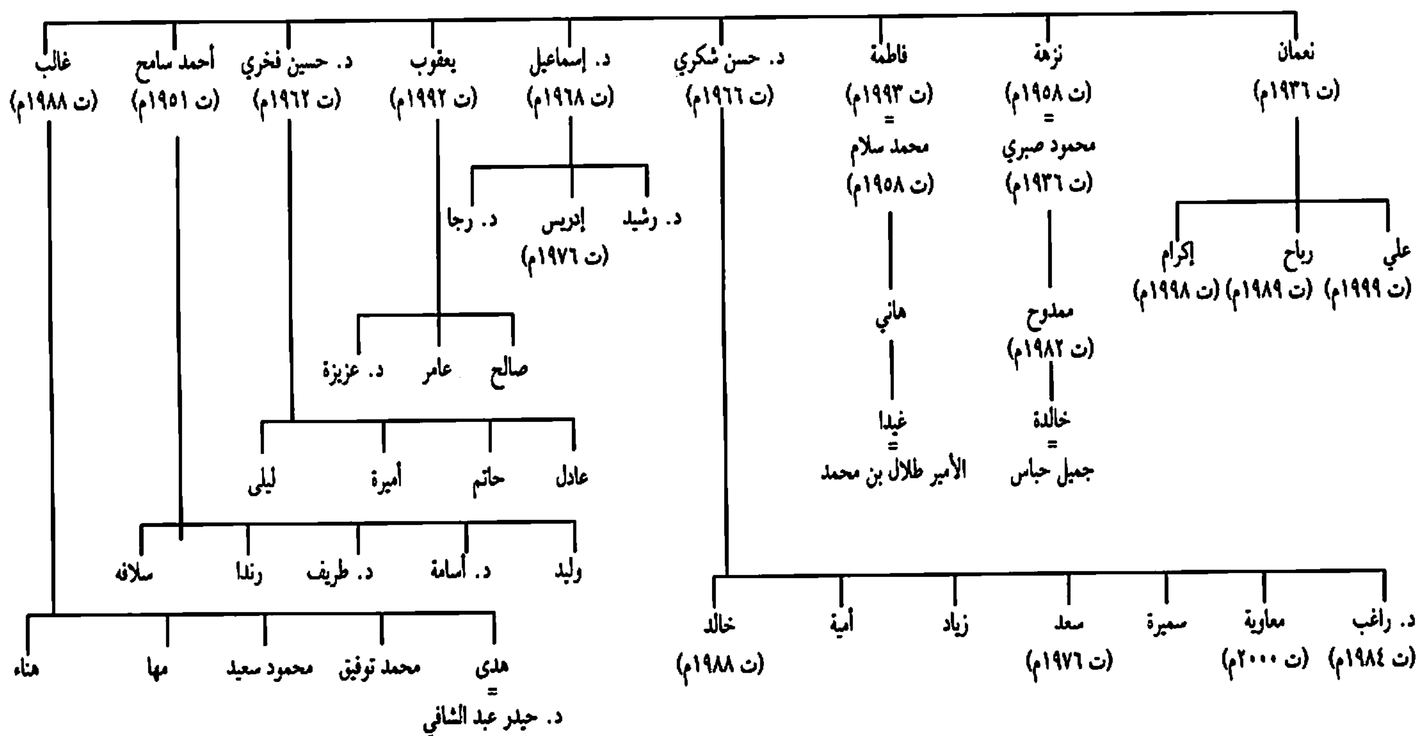
الشجرة ٤


محمد علي
(ت ١٨٦٤م)
ياسين
(ت ١٩٠١م)
عبد الرحمن
(ت ١٨٩٤م)
يوسف ضياء الدين باشا
(ت ١٩٠٦م)
خليل
(ت ١٨٨٦م)
روحي
(ت ١٩١٣م)
محمود ثريا
(ت ١٩٣٤م)
كامل
(ت ١٩١٤م)
نظيف
(ت ١٩١٦م)
عثمان زكي
(ت ١٩١١م)
عطاء الله
(ت ١٩١٩م)
ياسين
(ت ١٩٨٩م)
حيدر
(ت ١٩٩٢م)
ثابت
(ت ١٩٦٦م)
محمود عزيز
(ت ١٩٢٧م)
خالد
(ت ١٩٨٤م)
فؤاد
فخري
محمود ثريا
(ت ١٩٩٣م)
كامل
حسنية
هيفاء
نظيف
منذر
صفا
حازم
(ت ١٩٨٠م)
الدكتور إبراهيم
محمد علي
رياض
طه
حيدر
خالد
وليد
كريم
حسام
زياد

الشجرة ٥

راغب بن نعمان بن راغب

(ت ١٩٥٢م)



ملحق

مخطوطات المكتبة الخالدية*

د. نظمي أمين الجعبه

يبلغ مجموع المخطوطات الموجودة في المكتبة ١٢٦٣ مخطوطاً بعدة لغات، اللغة العربية ١٢٠٩ مخطوطات، تحتوي على عدد كبير من المجاميع التي ضمت حوالي ٢٠٠٠ عنوان، بالإضافة إلى ١٨ مخطوطاً باللغة الفارسية، و٣٦ مخطوطاً باللغة التركية العثمانية. أمّا حالة هذه المخطوطات فهي بشكل عام متوسطة، بالإضافة إلى وجود مجموعة بحالة جيدة، وأُخرى سيئة جداً. وبفضل الجهود الأخيرة، تم ترميم حوالي مئة مخطوط، وأجريت عمليات التبخير والتنظيف للمخطوطات، وذلك لمنع تدهور وضعها. كما تم حفظ كل مخطوط في صندوق مناسب خال من الأحماض، وتمت السيطرة على درجات الحرارة والرطوبة، وبذلك يمكن القول بأن المخطوطات محفوظة ضمن الشروط المتعارف عليها دولياً [....]

بلغ مجموع العناوين المنشورة في هذا الفهرس حوالي ١٩٧٠ عنواناً، منها ١٤٤٨ عنواناً يتوفر منها نسخة واحدة، والباقي عناوين مكرّرة، أو أجزاء عديدة لعنوان واحد.

وتعكس مجموعة الخالدية حرصاً بالغاً ووعياً فائقاً لدى جامعيها باختيار أفضل أنواع المخطوطات من نواحي الندرة، وحسن الخط، والورق، والدقة، ولذلك فقد جمعت هذه المخطوطات من أماكن متفرقة، دلّت على الأماكن التي رحل إليها أعلام هذه العائلة. ومن الملاحظ أن علماء آل الخالدي قد جاوروا الأزهر، واتصلوا بعلمائه وطلبة العلم فيه، القادمين من كافة أنحاء العالم الإسلامي، بشرقه وغربه، حيث قاموا باقتناء المخطوطات من رحاب الأزهر، أو أمروا باستنساخها، وجمعوها وعادوا بها إلى بيت المقدس. كما انتشر أبناء هذه العائلة موظفين حكوميين، ومدرسين، وقضاة

---

* من مقدمة نظمي الجعبه لـ «فهرس مخطوطات المكتبة الخالدية القدس»، إعداد نظمي الجعبه (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠٠١)، ص ٤٧ ـ ٥٣.

شرعيين في أماكن مختلفة من الدولة العثمانية، حيث جمعوا المخطوطات وعادوا بها إلى بيت المقدس ليثروا بها مكتباتهم الخاصة، والحركة العلمية في ظل المسجد الأقصى المبارك.

وعلى الرغم من أن عدداً قليلاً من المخطوطات يحمل أسماء الأماكن التي نسخت فيها، فإننا نلحظ انتماءها إلى معظم بلاد الشام، ومصر، وجزء من الجزيرة العربية، والجزيرة الفراتية، والعراق، وأماكن واسعة من تركيا وشرق أوروبا. ولو رسمنا خارطة لمصادر المخطوطات لاتضحت الروابط الثقافية التي ربطت بيت المقدس وعائلة الخالدي بأرجاء الدولة العثمانية.(١)

وتتناول المجموعة غالبية العلوم الإسلامية والعربية، كما تعالج عدداً من العلوم المختلفة، ويلاحظ ارتفاع نسبة الفقه الحنفي بالنسبة لباقي الموضوعات، حيث بلغت حوالي الربع، وذلك لكثرة عدد القضاة والفقهاء في عائلة الخالدي، وانتمائهم إلى المذهب الحنفي.

أمّا تواريخ نسخ المخطوطات فقد قسّمناها على كشافين، يضم الأول المخطوطات التي تحمل تاريخ نسخ، أو استطعنا التوصل إليه بالمقارنة، والآخر يضم المخطوطات التي أرّخناها بالاعتماد على شكل الخط، ونوع الورق، وعلامات التملك والقراءات، أو من خلال تجربتنا المتواضعة. وتعود أقدم المخطوطات المؤرخة إلى سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م،(٢) وأحدثها إلى سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.(٣) إن مجموع المخطوطات المؤرخة يفتح المجال أمام الباحثين لدراسة تطور الخط العربي، والحبر والورق والتجليد، منذ القرن الخامس الهجري حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، حيث أننا لا نكاد نجد فترة غير ممثلة، وأحياناً نجدها ممثلة بكثافة، خلال القرون الهجرية التسعة الماضية.

أمّا أقدم المخطوطات التي لا تحمل تأريخاً فيعود إلى القرن الرابع الهجري،(٤) ويحتوي كشاف المخطوطات غير المؤرخة على مخطوطين

(١) أنظر كشاف أماكن نسخ المخطوطات.
(٢) أنظر المخطوط رقم: ٢٠٦.
(٣) أنظر المخطوط رقم: ١٦٧٥.
(٤) أنظر المخطوط رقم: ١٦٤٧.

يعودان إلى القرن الخامس الهجري.(٥)

أمّا نوادر مخطوطات الخالدية فهي كثيرة، واعتمدنا في اعتبارها نادرة على ما تجمّع بين أيدينا من مصادر. كما اعتمدنا على من سبقنا بالنظر إلى هذه المخطوطات.(٦) وأفردنا كشافاً خاصاً بنوادر المخطوطات، وضم تلك المخطوطات التي تنفرد الخالدية بملكيتها لنسخة يتيمة، أو ثانية منها. وأضفنا إليها تلك المخطوطات المنسوخة بخط المؤلف. لقد بلغت هذه القائمة ٢٨٨ عنواناً(٧) مما يضفي على مجموعة الخالدية أهمية غير عادية.

أمّا المخطوطات التي كتبت بخط المؤلف، فقد بلغت ١١٢ عنواناً، وهي مجموعة قلّما تجتمع في مكتبة واحدة، وهذا يدل على الحرص الخاص الذي أولاه جامعوها في اختيارهم للمخطوطات. ومن أشهر المخطوطات التي كتبت بخط المؤلف نذكر:

(١) مجموع لتقي الدين السبكي (كتبه سنة ٧٤١ ـ ٧٤٩هـ/ ١٣٤٠ ـ ١٣٤٨م).
(٢) قصص الأنبياء لابن أبي عدسة القدسي (كتبه سنة ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م).
(٣) جلاء الأفكار في سيرة المختار للبلبيسي (كتبه سنة ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م).
(٤) الأشباه والنظائر لابن نجيم المصري (كتبه سنة ٩٦٩هـ/ ١٥٦٢م).
(٥) بسط المقال للشرنبلالي (كتبه سنة ١٠٢٩هـ/ ١٦٢٠م).
(٦) فتاوى ابن قاضي عجلون... إلخ.(٨)

لقد استثنينا من النوادر تلك المصححة من قبل المؤلف، أو التي قوبلت بنسخة المؤلف، بالرغم من بلوغها أكثر من ٢٥٠ عنواناً.

(٥) أنظر المخطوطين: ٢٤٢، ١٤٨٧.
(٦) مخلص، «نفائس الخزانة الخالدية»؛ طلس، «دور كتب فلسطين»؛ المنجد، «المخطوطات العربية في فلسطين»؛ «الموسوعة الفلسطينية».
(٧) أنظر كشاف نوادر المخطوطات.
(٨) أنظر كشاف المخطوطات التي كتبت بخط المؤلف.

تحتوي المجموعة على مؤلفات تعود لأكثر من ٧٢٠ عالماً تم تشخيصهم، منهم مؤلفون غير معروفين، وبالتالي ستضيف مجموعة الخالدية مجموعة جديدة إلى قائمة المؤلفين في العالم الإسلامي. ومثل كل المجموعات، لم نستطع تشخيص عدد كبير من المخطوطات، لأن ذلك غير مدوّن على المخطوط، أو بسبب ضياع الأوراق الأولى، أو الأخيرة منه.

لقد بذلنا جهداً وافراً للتعرف على المخطوطات غير المعرفة، ونجحنا في عدد غير قليل، لكن عدداً كبيراً بقي بدون تعريف ينتظر الباحثين للتعرف عليه، وفي كشاف المؤلفين أوردنا الأسماء بشكل مختصر دون الإخلال بالأسماء الشائعة.(٩) في حين ترد بشكل أكثر تفصيلاً في المتن.

أمّا الناسخون فقد أوردنا في كشافهم أسماء ٥٣٦ ناسخاً، ويشكّل المقادسة نسبة عالية منهم، وأشهر نساخ بيت المقدس شحاده محمود الشافعي، وعمر بن عثمان بالي المقدسي، ومحمد أمين الدنف الأنصاري. كما احتوى الكشاف على عدد غير قليل من عائلة الخالدي والداودي.(١٠)

أمّا كشاف بند الملاحظات فقد أوردنا فيه أسماء الأعلام الواردين في بند الملاحظات،(١١) وهو ما قمنا بجمعه من أسماء أصحاب المخطوطات، وتنقّل الملكيات، وكذلك القراءات والسماعات والملاحظات الشخصية، ويسهم هذا البند إلى حد كبير في توضيح تواريخ اقتناء المخطوطات وأماكنها، وكيفية وصولها إلى عائلة الخالدي. وقد حرصنا على إيراد كل اسم علم يرد على الورقة الأولى والأخيرة، وأحياناً في ثنايا المخطوط، كما يسهم هذا البند في تتبع ملكيات المخطوطات داخل عائلة الخالدي قبل تحويلها إلى مكتبة مشتركة. كما تحتوي حواشي المخطوطات على ملاحظات شخصية تتعلق بأبناء الخالدي مثل تواريخ وفاة، وولادة، وتركات، وبيع وشراء، ومجاورة بالأزهر...(١٢)

---

(٩) أنظر كشاف المؤلفين.

(١٠) أنظر كشاف الناسخين.

(١١) أنظر كشاف الأعلام الواردين في بند الملاحظات.

(١٢) أنظر على سبيل المثال المخطوطات: ٦٦٣، ٧١١، ١٣١٢.

حرص بعض أفراد العائلة على كتابة نسبهم بشكله الكامل على المخطوطات، مثلما فعل موسى شفيق بن محمد طاهر الخالدي.(١٣) وحملت غالبية المخطوطات التي أوقفها أحد أجداد العائلة، وهو محمد صنع الله الخالدي، على نصّ وقفية على أولاده الذكور(١٤) أو أشار إلى وقفيته المسجلة في المحكمة الشرعية في بيت المقدس.

تعود أقدم المخطوطات التي أوقفها محمد صنع الله الخالدي، وتحمل خطه، إلى سنة ١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م،(١٥) لتتوالى بعدها الوقفيات منه ومن أولاده، خاصة ولده محمد صنع الله بن محمد صنع الله الخالدي، الذي كتب وقفية موسّعة بذلك تعود على الأغلب إلى سنة ١٢٠٠هـ رفدها(١٦) لاحقاً بالمزيد من المخطوطات.

[.......]

واجهتنا صعاب جمة في تحضير هذا الفهرس، وذلك لكبر المجموعة، وعدم وجود تصنيف أوّلي لها يساعدنا على معرفة ترتيبها الأولي والبناء عليه. وحملت المخطوطات أرقاماً متسلسلة هي في الحقيقة أرقامها على الرف، دون اعتبار للموضوع، لذلك لم يكن من الممكن نشر أي جزء من هذا الفهرس دون الانتهاء من العنوان الأخير، ومن جهة ثانية فإن عدد المخطوطات المجهولة كان كبيراً، مما استنفد جزءاً غير قليل من الجهد للتعرف عليها، وإن لم ننجح نجاحاً تاماً، فقد استطعنا التعرف على عدد كبير منها، على أن يقوم أصحاب الاختصاص في المستقبل بالتعرف على ما تبقى.

واجهتنا مشكلة التشخيص السابق غير الدقيق لبعض المخطوطات، فعملنا على تشخيصها بشكل صحيح، واعتمدنا في هذا الفهرس العناوين وليس المخطوطات، بحيث أفردنا لكل عنوان ـ بغض النظر عن حجمه وأهميته ـ نفس الجهد والمساحة، كما تعاملنا مع المخطوط المكون من عدة أجزاء على أنه عناوين عديدة.

---

(١٣) أنظر المخطوط رقم: ١٤١٤.

(١٤) أنظر المخطوطين: ٧٥٢، ٥١٦.

(١٥) أنظر المخطوط رقم: ٥١٦.

(١٦) أنظر المخطوط رقم: ٥٦٧.

وقد توزعت عناوين هذا الفهرس على الموضوعات التالية:

الموضوع	عدد العناوين
(١) القرآن الكريم	١١
(٢) التفسير	٦١
(٣) علوم القرآن	٤٠
(٤) الحديث الشريف وعلومه	١٥٢
(٥) أصول الدين	١٥٦
(٦) أصول الفقه	٧٠
(٧) الفقه	٥٣٣
(٨) التصوف	١٠٣
(٩) المدائح النبوية	٤٦
(١٠) الآداب الشرعية	١٦٤
(١١) السيرة النبوية	٢٢
(١٢) السير والتراجم	٢٥
(١٣) التاريخ	١٢
(١٤) الفضائل	٦
(١٥) الأدب العربي	١٤٦
(١٦) اللغة العربية	١٦٧
(١٧) منطق	٩٧
(١٨) الفلك	٧٠
(١٩) الحساب	١٢
(٢٠) الطب	٩
(٢١) الموسيقى	٣
(٢٢) الحيوان	٦
(٢٣) السياسة	٤
(٢٤) الإجازات	٧
(٢٥) المتفرقات وشملت على موضوعات شتى	٤٠
	[١٩٦٢ عنواناً]

بيبليوغرافيا
عن المكتبة الخالدية

- أبو خضير، محمد. «المكتبة الخالدية: من المعالم الحضارية في مدينة القدس»، في: «القدس»، الملحق الشهري، أول يونية ١٩٩٠، ص ٤، ٩.
- الأسد، ناصر الدين. «محمد روحي الخالدي: رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين». القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٠. ١٤٨ صفحة.
- الجعبه، نظمي (إعداد). «فهرس مخطوطات المكتبة الخالدية القدس». لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- الحبّال، محمد محمود (إعداد). «برنامج المكتبة الخالدية العمومية». القدس: جرجي حبيب حنانيا، ١٩٠٠. ١٢٦ صفحة.
- الخالدي، عادل حسين وراغب حسن الخالدي (تقديم). «برنامج المكتبة الخالدية العمومية». عمّان: مطبعة الشرق، طبعة جديدة، ١٩٨٠.
- الخالدي، وليد. «كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية لمحمد روحي الخالدي المتوفى سنة ١٩١٣»، في: «دراسات فلسطينية: مجموعة أبحاث وضعت تكريماً للدكتور قسطنطين زريق»، تحرير هشام نشابه. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٨، ص ٣٧ ـ ٨١.
- ــــــ. «المكتبة الخالدية في القدس»، في: «فهرس مخطوطات المكتبة الخالدية القدس»، إعداد نظمي الجعبه. لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٣ ـ ٤١.
- طرازي، فيليب دي. «خزائن الكتب العربية في الخافقين ـ المكتبة الخالدية». بيروت: وزارة التربية والفنون الجميلة، ١٩٤٧، جـ ١، ص ١٤٢ ـ ١٤٣.
- طلس، أسعد. «دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها»، في: «مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق» (١٩٤٥ ـ ١٩٤٦)، مج ٢٠، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧، ٣٤٤ ـ ٣٤٧، ٤٤٠ ـ ٤٤٨، ٥٢٨ ـ ٥٣٦؛ مج ٢١، ص ٤٩ ـ ٦٠.
- العارف، عارف. «المفصل في تاريخ القدس». القدس: مطبعة المعارف، ط ٢، ١٩٨٦، ص ٤٤٩.
- العسلي، كامل جميل. «أجدادنا في ثرى بيت المقدس». عمّان: مؤسسة آل البيت، ١٩٨١، ص ٧٣ ـ ٧٥.

ـ العسلي، كامل جميل. «معاهد العلم في بيت المقدس». عمّان: الجامعة الأردنية، ١٩٨١، ص ٣٧٩ ـ ٣٨٨.
ـ كرد علي، محمد. «خطط الشام». دمشق: مطبعة المفيد، ١٩٢٨، جـ ٦، ص ٢٠١ ـ ٢٠٢.
ـ مخلص، عبد الله. «خزائن الكتب العربية: نفائس الخزانة الخالدية في القدس الشريف»، في: «مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق» (١٩٢١)، مج ٤، ص ٣٦٦ ـ ٣٦٩، ٤٠٩ ـ ٤١٣.
ـ المنجد، صلاح الدين (محرر). «المخطوطات العربية في فلسطين». بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢.
ـ هاشم، عبد الهادي (محرر). «المكتبات»، في: «الموسوعة الفلسطينية». دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

- **Birnbaum, Eleazar.** «Turkish Manuscripts: Cataloguing sinse 1960 and Manuscripts still Uncatalogued,» Part 3, in *Journal of the American Oriental Society* 103 (1983), p. 705.
- **Bish, A.R.** «Conservation at the Khalidi Library in the Old City of Jerusalem,» in *Proceedings of the Conference of the Institute of Paper Conservation*. Manchester: Institute of Paper Conservation, 1992, pp. 178-181.
- **Burgoyne, Michael Hamilton.** *Mamluk Jerusalem: An Architectural Study*, with additional historical research by D.S. Richards. London: World of Islam Festival Trust, 1987, pp. 109-116.
- **Conrad, Lawrence I.** «The Khalidi Library,» in Auld, Sylvia and Robert Hillenbrand (eds.), *Ottoman Jerusalem: The Living City, 1517-1917*. London: Altajir World of Islam Trust, 2000, Part I, pp. 191-211.
- ——— **and Barbara Kellner-Heinkele.** «Ottoman Resources in the Khalidi Library in Jerusalem,» in *Proceedings of the Ninth Sumposium of Pre-Ottoman and Ottoman Studies*. Edited by Amnon Cohen and Amy Singer. Jerusalem: Magnes University Press, 1993.

- **Khalidi, Tarif.** «Palestinian Historiography: 1900-1948,» in *Journal of Palestine Studies*, vol. X, no. 3, Spring 1981, pp. 59-76.
- **Al-Khateeb, J.** «Rūḥī Al-Khālidī: A Pioneer of Comparative Literature in Arabic,» in *Journal of Arabic Literature* 18 (1987), pp. 81-87.
- **Little, D. P. and A. Uner Turgay.** «Documents from the Ottoman Period in the Khalidi Library in Jerusalem,» *Die Welt des Islams* 20 (1980), pp. 44-72.
- **Schölch, Alexander.** «Ein Palästinischer Reprüsentant der Tanzimat-Periode: Yūsuf ḌIYĀ'ADDĪN AL-KHĀLIDĪ (1842-1908),» in *Der Islam* 57 (1980), pp. 311-322.
- **Stephan, St. H.** «An Endowment Deed of Khasseki Sultan dated 24th May 1552,» *Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine* 10 (1940), pp. 170-199.
- **Walls, A.G.** «The Turbat Barakat Khān or Khalidi Library,» in *Levant* 6 (1974), pp. 25-50.